

الشيخ أبو العباس
أحمد بن خالد الناصري

كتاب
الاستفصال

لأخبار دولة المغرب الأقصى

الدولة السعدية

القسم الثاني

الجزء السادس

تحقيقه وتعليقه

الأستاذة

جعفر الناصري و محمد الناصري

دار الكتاب

الدار البيضاء

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الكتاب
ساحة المسجد الحمدي
الدار البيضاء
1418هـ / 1997م

رقم الإيداع القانوني والرقمي

1399/96

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدولة السعودية

القسم الثاني

الخبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن أحمد المنصور رحمة الله تعالى

لما توفي المنصور رحمة الله وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحل والعقد من أعيان فاس وكبرائها والجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده زيدان، وقالوا: إن المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره، وكان من تصدى لذلك القاضيان: قاضي الجماعة بفاس أبو القاسم بن أبي التعيم، والقاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي، والأستاذ أبو عبد الله محمد الشاوي، والشيخ النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار وغيرهم. ويحكى أن القاضي ابن أبي التعيم قام في الناس خطيباً وقال: أما بعد، السلام عليكم، فإن رسول الله ﷺ لما مات اجتمع الناس على أبي بكر رضي الله عنه، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولد مولانا زيدان أولى بالملك من إخوته. فبایعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنين عشرة وألف^(١). قالوا: وكان زيدان لاما توفي والله كتم موته وبعث

(١) قال المؤرخ المجهول: يو碧 زيدان بعد وفاة أبيه وقبل دفنه ونسب الخطبة الآتية للقصاص وزاد فيها بعد قوله: اجتمع الناس على أبي بكر ما نصه: فبایعوه وأخلوا في تجهيز رسول الله بعد ذلك ونحن كذلك نعمل. وأظن هذه الرواية أقرب إلى الواقع لأن القصد بالخطبة هو تبيين السنة في تقديم المبايعة على الدفن وإلا كانت من محسن الإخبار بالمعلوم.

جماعة للقبض على أخيه الشيخ المسجون بمكناة فمنعهم من ذلك الباشا جؤذر كبير جيش الأندلس وحمل الشيخ موئقاً إلى مراكش حتى دفعه إلى أخيه أبي فارس وكان شقيقاً له، فلم يزل مسجوناً عنده إلى أن كان من أمره ما يأتي كذا قال بعضهم. وقال في شرح «زهرة الشماريخ»: إن زيدان لما اشتغل بتدفن والده احتال القائد أبو العباس أحمد بن منصور العلوج فذهب بنصف المحلة إلى مراكش نازعاً عن زيدان إلى أبي فارس ومر في طريقه بمكناة فأخرج الشيخ من اعتقاله واحتمله معه إلى أبي فارس فسجنه فلم يزل مسجوناً عنده إلى أن كان من أمره ما ذكره والله تعالى أعلم.

انحراف أهل مراكش عن طاعة زيدان وبيعتهم لأبي فارس وما نشا عن ذلك من الفتنة

كان المنصور رحمة الله قد فرق عمالات المغرب على أولاده كما مر، فاستعمل الشيخ على فاس والغرب وولاه عهده، واستعمل زيدان على تادلا وأعمالها، واستخلف، عند نهوضه إلى فاس، ابنه أبي فارس على مراكش وأعمالها وكان يكتبه بما مر بعضه من الرسائل، فلما اتصل بأهل مراكش وفاة المنصور وكتب إليهم أهل فاس بمبایعتهم لزيدان امتنعوا وبايعوا أبي فارس لكونه خليفة أبيه بدار ملكه التي هي مراكش ولأن جل الخاصة من حاشية أبيه كان يميل إلى أبي فارس لأن زيدان كان متبدلاً عنهم بتادلا سائر أيام أبيه فلم يكن لهم به كثير إلمام ولا مزيد استثناس، مع أنه كان جديراً بالأمر لعلمه وأدبه وكمال مروعته رحمة الله إلا أن السعد لم يساعده وقد قيل في المثل قديماً: «قاتل بسعده وإلا فدع» ولما شق أهل مراكش العصا على زيدان كثُر في ذلك القيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضي فاس ابن أبي التعيم، وفتويها أبي عبد الله القصار تتضمن التصریح بحديث: «إذا بوعي لخليفتين فاقتلو الآخر منهمما» وكانت بيعة أبي فارس

بمراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة وألف، وهو شقيق الشيخ المأمون، أمهما أم ولد اسمها الجوهر، ويقال الخيزران، واسم أبي فارس هذا: عبد الله وتلقب بالواشق بالله، وكان أكولاً عظيم البطن مصاباً بمس الجن ويقال: إنه لذلك ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح الشيخ أبي العباس السبتي وشيد منارة وشحن الخزانة التي بقبلي الجامع المذكور بمتتخب الكتب ونفيس الدفاتر كل ذلك رجاء أن تعود عليه بركة ذلك الشيخ بالبرء من تلك العلة، وكان مع ذلك يميل إلى المروءة والرفق وحسن السيرة رحمه الله.

نهوض السلطان زيدان لحرب أبي فارس وانهزامه بأم الربع ثم فراره إلى تلمسان

لما بايع أهل مراكش أبي فارس بن المنصور عزم زيدان على النهوض إليه فخرج من فاس يوم بلاد الحوز، واتصل الخبر بأبي فارس فجهز لقتاله جيشاً كثيفاً وأمر عليهم ولده عبد الملك إلى نظر الباشا جوذر، فقيل له: إن زيدان رجل شجاع عارف بمكاييد الحرب وخدعه ولدك عبد الملك لا يقدر على مقاومته فلو سرت أخاك الشيخ لقتاله كان أقرب للرأي لأن أهل الغرب لا يقاتلونه لأنه كان خليفة عليهم مدة فهم آنس به من زيدان، فأطلق أبو فارس أخيه المأمون من ثقاف السجن وأخذ عليه العهود والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصا، ثم سرمه في ستمائة من جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليبعث بهم إلى كاغو من أعمال السودان، وقال له ولأصحابه: «جدوا السير الليلة كي تصبحوا بمحللة جوذر على وادي أم الربع» فلما انتهى الشيخ إلى المحللة المذكورة وعلم الناس به أهرعوا إليه واستبشروا بمقدمه. ثم كانت الملاقة بينه وبين السلطان زيدان بموضع يقال له: حواتة عند أم الربع ففر عن زيدان أكثر جيشه إلى المأمون وحنوا إلى

سالف عهده وقدیم صحبته، فاتهزم زیدان لذلك ورجع أدراجه إلى فاس فتحصن بها.

وكان أبو فارس قد تقدم إلى أصحابه في القبس على الشيخ متى وقعت الهزيمة على زیدان فلما فر زیدان انعزل الشيخ فین انضم إليه من جيش أهل الغرب وامتنع على أصحاب أبي فارس فلم يقدروا منه على شيء وانتعش أمره واشتدت شوكته ثم سار إلى فاس يقفوا أثر السلطان زیدان.

ولما اتصل بزیدان خبر مجئه إليه راود أهل فاس على القيام معه في الحصار والذب عنه والوفاء بطاعته التي هي مقتضى بيعتهم التي أعطوا بها صفتهم عن رضى منهم، فامتنعوا عليه وقلبوا له ظهر المجن وأعلنوا بنصر الشيخ وبيعته لقديم صحبتهم له. ولما آيس زیدان من نصرهم وقد أرهقه الشيخ في جموعه خرج من فاس بحشمه وثقله ناجياً بنفسه، وتبعه جموع عظيم من أصحاب الشيخ فلم يقدروا منه على شيء، وذهب إلى تلمسان فأقام بها إلى أن كان من أمره ما ذكره.

وأما الشيخ فإنه لما وصل إلى فاس تلقاه أهلها ذكوراً وإناثاً وأظهروا الفرح بمقدمه فدخلها ودعا لنفسه فأجيب واستبد بملكها، ثم أمر جيش أهل مراكش أن يرجعوا إلى بلادهم فاقتليوا إلى صاحبهم مخففين.

وكان الشيخ لما تم غرضه من الاستبداد بالأمر والانفراد بالسلطنة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة أبي القاسم بن أبي النعيم، ومفتี้ها أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار فلامهما على مبايعة زیدان وقولهما فيه وفي أخيه أبي فارس: «إن أولاد الإمام لا يتقدمون في الأمر على أولاد الحرائر». وكان أبو فارس والشيخ ولدي أمة اسمها: الخيزران كما مر، وزیدان أمه حرة من الشبات، وعزم أن ينكل بهما ثم بعث بهما مع جيش مراكش إلى أخيه أبي فارس ليرى فيما رأيه فأما الشيخ القصار فتوفي رحمه الله على مقربة من مراكش بزاوية الشيخ ابن ساسي وحمل إلى مراكش فدفن بقبة القاضي عياض

وذلك في أواسط سنة اثنى عشرة وألف؛ وأما القاضي أبو القاسم فاجتمع بأبي فارس فقبل عذرها وصفح عنه ورده مكرماً إلى فاس هكذا ذكره بعضهم⁽¹⁾ وقيل: إن الذي بعث بالشيخ القصار إلى مراكش هو السلطان زيدان على وجه يخالف هذا والله أعلم.

نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستيلاؤه على مراكش

ثم إن الشيخ المتغلب على فاس دعا بتجار أهلها فاستسلف منهم مالاً كثيراً وأظهر من الظلم وسوء السيرة وثبت المسيرة ما هو شهير به، ثم تتبع قواد أبيه فتهب ذخائرهم واستتصفي أموالهم وعدب من أخفى من ذلك شيئاً منهم، ثم جهز جيشاً لقتال أخيه أبي فارس بمراكش، وكان عدد الجيش نحو الثمانية آلاف، وأمر عليه ولده عبد الله فسار بجيشه فوجد أبا فارس بمحلته في موضع يقال له: إكلميم، ويقال: في مرس الرماد فوقيع الهزيمة على أبي فارس وقتل نحو المائة من أصحابه ونهبت محلته، وفر هو بنفسه إلى مسفية، ودخل عبد الله بن الشيخ مراكش فأباحها لجيشه فنهبت دورها واستبيحت محارمها واشتغل هو بالفساد «ومن يشابه أباه فما ظلم» حتى حكي أنه زنى بجواري جده المنصور واستمتع بحظياته، وأكل رمضان وشرب الخمر فيه جهاراً وعكف على اللذات وألقى جلباب الحياة عن وجهه، وكان دخوله مراكش في العشرين من شعبان سنة خمس عشرة وألف⁽²⁾.

(1) وكانت عاقبة أمره القتل كما سيدكره المؤلف.

(2) ثم غر منها إلى السوس فأقام عند حاجب أبيه عبد العزيز بن سعيد الوزكيبي كما سيدكره المؤلف.

**مجيء السلطان زيدان إلى المغرب
 واستيلاؤه على مراكش وطرده
 عبد الله بن الشيخ عنها**

كان السلطان زيدان لما فر من فاس إلى تلمسان كما مر أقام بها مدة وكان قد بعث إلى ترك الجزائر يستمدّهم ويستعديهم على أخيه فأبظروا عليه وطال عليه انتظارهم، فلما يشنّ منهم توجّه إلى سجلّ ماسة فدخلها من غير قتال ولا محاربة، ثم انتقل عنها إلى درعة ومنها إلى السوس، فكتب إليه أهل مراكش، وقد ندموا على ما فرطوا فيه من أمره والدخول في طاعته، أن يأتيهم ولو وحده، فتوجّه إليهم ودخل عليهم ليلاً فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ إلا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان وتحزبوا معه وقدموا إلى قادتهم عبد الله آعراس الذي ولاه عليهم الشيخ فقتلواه، وخرج عبد الله فراراً بجموعه من أهل فاس والغرب، فحاصرهم أهل مراكش بين الأسوار والجنبات، وقتلوا من أصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف وخمسة وأربعين ألفاً، وفر عبد الله بن الشيخ ناجياً بنفسه حتى قدم على أبيه بفاس في أسوأ الحالات، مقلولاً العساكر مهزوم الجموع معتاضاً عن جيش النصر بجيشه الدموع.

عودة عبد الله بن الشيخ إلى مراكش واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها

لما قدم عبد الله بن الشيخ على أبيه بفاس سليباً مهزوماً قامت قيامته ورأى أن يهين عسكراً آخر ويجدد جمعاً ثانياً فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من المال وقلة جيابته، واستحبّ أن يستسلّف من التجار لأنّه كان استسلّف منهم فلم يرد لهم شيئاً. ولما أعيته الحيلة رجع على قواده فقلب لهم ظهر المجن ونهب أموالهم واستلب ذخائرهم وصار يفرقها على التجار، فاجتمع له من ذلك أموال عريضة فرقها في جيشه، وتهيا عبد الله للمسير إلى مراكش، وكان أهل فاس قد غضبوا لمن قتل من إخوانهم بها ونادوا بأخذ ثارهم حتى إن بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ولا جامكية، فخرج عبد الله بجموع عديدة وجيوش حفيلة، ولما بلغ خبره للسلطان زيدان بعث إليه العلّج مصطفى باشا في جيوش كثيرة، قال في شرح «زهرة الشماريخ»: كان بعث مصطفى باشا وخروجه من مراكش في شعبان سنة ست عشرة وألف، فالتقى الجمعان بموضع يقال له تافلقلت^(١) على طريق سلا فهزم مصطفى باشا وقتل من جيش مراكش نحو التسعة آلاف وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس إلى موضع المعركة حتى أحصوا القتلى، ثم توجه عبد الله إلى مراكش فبرز إليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل والتقي الجمعان بموضع يقال له: رأس العين، فانهزم أهل مراكش، وتقدم عبد الله بن الشيخ فاقتحموا بجيشه، وفر زيدان إلى المعاقل المنيعة والجبال الشامخة فبقي منتقلًا هنالك إلى أن كان من أمره ما نذكره.

(١) هي المعروفة بتبللت اليوم بارض آزمور.

ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره وعود زيدان إلى مراكش

لما دخل عبد الله بن الشيخ مراكش واستولى عليها أعظم من فعلته الأولى، وهربت شرذمة من أهل مراكش إلى جبل جيليز واجتمع هنالك منهم عصابة من أهل النجدة والحمية واتفق رأيهم على أن يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ، وكان رجلاً خيراً ديناً صيناً وقوراً فباعه أهل مراكش هنالك، والتلفوا عليه، فخرج عبد الله بن الشيخ لقتال من بجبل جيليز والقبض على أميرهم المذكور. ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولي أصحابه الأدباء فخرج من مراكش مهزوماً سادس شوال سنة ست عشرة وألف، وترك محلته وأنفاسه وعدته وجل الجيش، وأخذ على طريق تامستن وامتحن أصحابه في ذهابهم حتى كان مد القمع عندهم بثلاثين أوقية والخبزة من نصف رطل بربع مثقال، ولم يزل أصحابه يتنهبون ما مرروا عليه من الخيام والعمود ويسبون البنات إلى أن وصلوا إلى فاس في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

وأما محمد بن عبد المؤمن فإنه لما دخل مراكش واستولى عليها صفع عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله بن الشيخ، وأعطاهم الراتب فلم يعجب ذلك أهل مراكش، ونقموا عليه إيقاعه عليهم، وكانوا نحو ألف ونصف، فكتبوا سراً إلى السلطان زيدان بالجبل فأثأهم وخيم نازلاً بظاهر البلد، فخرج محمد بن عبد المؤمن إلى لقائه فانهزم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراكش واستولى عليها وصفح هو أيضاً عن الفتنة المختلفة عن عبد الله بن الشيخ. وذكر في شرح «زهرة الشماريخ»: إن هذا التأثر بجبل جيليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان أبي العباس الأعرج والله أعلم، ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان إن شاء الله.

خروج جالية الأندلس من غرناطة وأعمالها إلى بلاد المغرب وغيرها

قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية صاحب قشالة على غرناطة وأعمالها سنة سبع وتسعين وثمانمائة، وإن أهل غرناطة التزموا طاعته والبقاء تحت حكمه على شروط اشتراطوها عليه قد ذكرنا بعضها فيما سلف، وأن عدو الدين قد نقض تلك الشروط عروة عروة، وكان أهل الأندلس من أجل ذلك كثيراً ما يهاجرون من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام أثناء هذه المدة السالفة، غير أن عامتهم كانوا قد تخلقاً بأخلاق العجم وأثر فيهم ذلك أثراً ظاهراً لطول صحبتهم لهم ونشأة أعقابهم بين أظهرهم، فكانت تصدر منهم في بعض الأحيان مقالات قبيحة في حق ولاة المسلمين من أهل المغرب وعامتهم، لا سيما إذا نالهم منهم بعض الظلم، ولقد رأيت في كتاب «المعيار» وغيره: سؤالات وفتاوی صدرت من علماء المغرب في حق هؤلاء الصنف منهم، وكان الملوك السعديون قد جمعوا منهم جنداً كبيراً، وبهم فتح المنصور إقليم السودان، واستمر الحال على ذلك إلى أن كانت سنة ست عشرة وألف فهاجر جميع من لم يتصر منهم إلى بلاد المغرب وغيرها.

قال في «نفح الطيب»: كان النصارى بالأندلس قد شددوا على المسلمين بها في التنصر حتى أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغير فضلاً عن غيرها من الحديد، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً ولم يقيض الله لهم ناصراً إلى أن كان إخراج النصارى إياهم أعوام سبعة عشرة وألف، فخرجت ألف بفاس، وألف آخر بتلمسان، ووهران، وخرج جمهورهم بتونس، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرق ونهبوا أموالهم، وهكذا كان ببلاد تلمسان وفاس، ونجا القليل منهم من هذه المضرة. وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهو لهذا العهد قد عمروا قراها الخالية ويلادها» اهـ.

وقال صاحب «الخلاصة النقية في أمراء إفريقية» ما نصه: «وفي سنة ست عشرة وألف قدمت الأمم الجالية من جزيرة الأندلس فأوسع لهم صاحب تونس عثمان داي كنفه وأباح لهم بناء القرى في مملكته فبنوا نحو العشرين قرية واغتبط بهم أهل الحضرة وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم» اهـ ثم قال في «نفع الطيب»: «وكذلك خرج طوائف منهم بتطاوين وسلا والجزائر، ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكراً جراراً وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن، وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور، وهم الآن بهذا الحال، ووصل جماعة منهم إلى القسطنطينية العظمى وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الإسلام» اهـ كلام نفع الطيب، وقوله: وحصنوا قلعة سلا يعني بها رباط الفتح إذ هي يومئذ مضافة إلى سلا ومعدودة منها. والله تعالى أعلم.

استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور عنها إلى العرائش ثم إلى طاغية الإصيبيوں

كان الشيخ بن المنصور عفا الله عنه على ما تقدم من قبح السيرة والإساءة إلى الخاصة والعامة حتى ملته النفوس ورفضته القلوب وضاق أهل فاس بشؤمه ذرعاً، وكان قد بعث ابنه عبد الله مرة ثالثة إلى حرب السلطان زيدان بمراکش وأعمالها فخرج عبد الله من فاس آخر ذي الحجة سنة ست عشرة وألف فالتحقى الجمعان بوادي بوركراك فكانت الهزيمة على عبد الله وفر في رهط من أصحابه وترك محلته بما فيها بيد السلطان زيدان، فاستولى عليها، وانضم إليه جيش عبد الله من أهل فاس وغيرهم ميلاً إليه ورغبة في صحبته. فعفا عنهم وتألفهم: واستفحـل أمر السلطان زيدان وتكلـم بهـ أهل فاس وسائر بلاد الغرب، واتصل الخبر بالشيخ وعرف أن قلوب الناس عليه فخاف الفضيحة وأصبح غادياً في أهله وحشـمه إلى ناحية العرائش، فاحتـلـ

بالقصر الكبير وهناك لحق به ابنه عبد الله مهزوماً من وقعة بوركراك، وانضم إليهما أبو فارس بن المنصور، فإنه بعد فراره من مرس الرماد إلى مسيفية أقام بها مدة. ولما استولى السلطان زيدان على مراكش كما مر شدد في طلبه ففر إلى السوس، ولما أُعْيَت عليه المذاهب وزيدان في طلبه لحق بشقيقه الشيخ فكان معه إلى هذا التاريخ.

ثم إن السلطان زيدان بعث كبير جيشه مصطفى باشا إلى فاس فانتهى إليها ونزل مخيناً بظهر الزاوية، ووجد لأصحاب الشيخ زروعاً كثيرة فأرسل مصطفى باشا عليها جيشه فانتسفوها، ودخلت فاس في طاعته ثم نهض إلى ناحية القصر الكبير ناوياً القبض على الشيخ وحزبه، واتصل بالشيخ ففر إلى العرائش، ومنها ركب البحر إلى طاغية الإصنيع مستمراً به على السلطان زيدان، وحمل معه أمه الخيزران وبعض عياله وجماعة من قواده وبطانته، وذلك في ذي القعدة سنة سبع عشرة وألف.

وانتهى مصطفى باشا إلى القصر الكبير فقبض على من وجد به من أصحاب الشيخ وفر عبد الله وأبو فارس فنزل بموضع يقال له: سطحبني وارتين، فبلغ خبرهما إلى السلطان زيدان، فجاء حتى نزل قبالتهم بموضع يقال له: آزورات، ففر من كان معهما إلى السلطان زيدان، ولما بقيا أوحش من وتد بقاع فرا إلى دار اليهودي ابن مشعل من بلادبني يزناسن فأقاما بها.

واختصر صاحب «المرأة» هذا الخبر فقال: كان السلطان أبو المعالي زيدان بن المنصور التقى مع ابن أخيه عبد الله بن الشيخ صاحب فاس برقوس الشعاب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال سنة سبع عشرة وألف فانهزم عبد الله بن الشيخ وفر إلى محله أبيه بالعرائش، ثم رجع إلى جهة فاس، وانتهى إلى دار ابن مشعل واستولى عمه السلطان زيدان على محلته وسار إلى فاس فدخلها وأقام بها» اهـ.

وفي دخلة السلطان زيدان هذه إلى فاس قبض على الفقيه القاضي أبي

الحسن علي بن عمران السلاسي رحمة الله قال اليفرني في «الصفوة»: كان القاضي المذكور من أخذ عن الشيخ القصار وكان مع ذلك لما ولد القصار الفتوى والخطابة بجامع القرويين يسعى عند السلطان في تأخيره حتى آخر، وولي هو مكانه مدة يسيرة ثم أعيد القصار، وكانت بينهما شحنة عظيمة بسبب فتوى تنازعا فيها، ثم أفضت الحال بالقاضي أبي الحسن إلى أن قبض عليه السلطان زيدان بسبب أنه عثر له على كتاب كتبه إلى بعض إخوته يتقصده فيه ويوهن أمره، فألوغر ذلك قلب السلطان عليه فسطا به وسجنه ونهب داره وأثنائه ثم مقاه سماً، على ما قيل، فكان فيه حتفه، وقد حكي هذا الخبر في موضع آخر من «الصفوة» مطولاً فقال: كان القاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي شديد الانحراف عن الشيخ العارف بالله أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي مبيعاً لل اعتقاد فيه، ولم يزل يسعى به ويكيده، فاتفق أن اجتمع بالشيخ في بعض الليالي بعض من يتعاطى العلم فتكلموا في مسائل من صفات الله فنقل كلام الشيخ إلى القاضي على غير وجهه فأنكر ذلك، وركب من حينه إلى السلطان زيدان، وهو يومئذ بفاس، متهزأاً للفرصة فقال: «إن ههنا رجلاً يعلم الناس البدع ويلقنهم آراء الفرق الضالة» فقال له السلطان: «من هو؟» قال: «فلان» قال: «أخو سيدي يوسف؟» قال: «نعم» قال: «سمحنا أنه أعلم من أخيه» ثم بعث السلطان إليه، وهو مستشيط غضباً لخبر بلغه من ثورة بعض أقاربه عليه فجاء الشيخ أبو زيد ولم يخلع نعله حتى بلغ بساط السلطان، فسلم عليه ومد يده فصافحه ثم تكلموا في المسألة فانقطع القاضي ولم يوجد ما يقول. إلا أن الناقل لم يحسن نقلها، فقال له الشيخ: «فهلا تثبت!» وكان بعض علماء مراكش حاضراً فبالغ في عتاب القاضي، وقيل للشيخ: «ما سبب الوحشة بينك وبين هؤلاء؟» فقال: «لا شيء إلا الاستغناء عنهم» فقالوا: «يا سيدي هذا وصف يوجب الحب» فما انفصل الشيخ عن السلطان حتى اطلع على ما يوجب القبض على القاضي فقبض عليه ونهب داره في العين، فنزل الشيخ من فاس الجديد فلقي أثاث القاضي في الطريق جيء به منهوباً، ويفي في السجن إلى أن مات مسموماً رحمة الله. وكان

الأديب الكاتب أبو عبد الله المكلاوي قد كتب إليه بآيات يقول فيها ما

نصبه:

فيجلی به خطب دجاه تشور فأنت عظيم والعظيم صبور فللبدر من بعد الكسوف ظهور فللمیت من بعد الممات نشور مقیماً عليه ما أقام ثبیر وذلك عندي سانع ونمیر وغنت بأغصان الرياض طیور	أمالهلال غاب عنا سفور فصبراً للدھر رام يمنحك الأمی سیظھر ما عھدته من جمالکم وتحیی رسوم للمعالی تغیرت آبا حسن إني على الحب لم أزل ففي الفم ماء من بقايا ودادکم عليك سلام الله ما هطل الحیا
---	---

قال منشئها: وقد أنسدتها بين يديه بمحبسه فبكى حتى ظنت أنه
 سيهلك ثم أفاق وقال: «لَقُولَ الْأَتَرُّ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ» [الروم: 4] فراجعني
 رضي الله عنه بآيات يقول فيها:

فما هي إلا روضة وغدير فأنت على جند الكلام أمير له معکم في الخافقین ظهور سأشدو وقلبي بالهموم کسیر بنھضة جد والزمان عشر وتحدث من بعد الأمور أمر غريب بأقصى المغارب أسیر	تفتق عن زهر الربيع سطور هزمت من الصدر الجريح همومه محمد هل في العصر غيرك شاعر فلاني على صفو الوداد وإنني متى وعسى يثنی الزمان عنانه فتدرك أمال وتقضي مأرب عليك سلام الله مني فلاني
---	--

وكانـت وفـاة القـاضـي المـذـکـور رـحـمـه اللهـ في جـامـعـ المشـورـ في مـهـلـ رـیـعـ
 الثانيـ سـنةـ ثـمـانـ عـشـرـةـ وـأـلـفـ.

**عود عبد الله بن الشيخ إلى
فاس واستيلاؤه عليها ومقتل
مصطفى باشا رحمة الله**

لما دخل السلطان زيدان حضرة فاس واستولى عليها أقام بها إلى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف فاتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه بناحية مراكش فنهض إليها مزعجاً، واستخلف على فاس مولاه مصطفى باشا، ولما اتصل خبر نهوضه بعد الله بن الشيخ، وهو بدار ابن مشعل، زحف إلى فاس فيمن انضم إليه فبرز إليه مصطفى باشا وضرب محلته بظاهر فاس من ناحية باب الفتوح قال في «المرأة»: وعرض لأبي الحسن علي بن يوسف الأندلسي المعروف بالبيطار غرض من أمور العامة كان يتتردد فيه إلى المحلة فركب إليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف فالتحقى الجمعان يومئذ بين الظهرتين فأجلت الحرب عن مقتل مصطفى باشا، وقد أبو الحسن ابن البيطار. وقال في «التزهة»: لما رحل زيدان إلى مراكش بسبب ما بلغه من قيام بعض الثوار عليه، هنالك قدم عبد الله بن الشيخ وبعمه أبو فارس إلى فاس فخرج مصطفى باشا لمقاتلتهما فعثر به فرسه وقتل وأخذت محلته بأسرها، وهلك ما لا يحصى من الناس ووقع النهب حتى انتهب من البقر التي تحلب نحو ستة آلاف، ودخل عبد الله بن الشيخ فاساً مع عمه أبي فارس وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف.

تلخيص خبر أبي فارس ومقتله رحمه الله تعالى

تقديم لنا أن أبو فارس بن المنصور بويع بمراکش ويبعث أخيه الشيخ لقتال السلطان زيدان فنكث الشيخ عهده واستبدل عليه، ثم بعث إليه ابنه عبد الله فهزمه إلى مسفية ثم فر منها إلى السوس، فاقام عند حاجب أبيه عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي، ثم لما بالغ زيدان في طلبه فر إلى أخيه الشيخ فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ إلى أن قتل مصطفى باشا ودخل عبد الله فاساً فاستولى عليها كما ذكرناه آنفاً فاتفق رأي قواد شراكة على قتل عبد الله وتولية عمّه أبي فارس، فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمّه أبي فارس ليلاً مع حاجبه حمو بن عمر فوجده على سجادته وجواريه حوله فأخرججهن وأمر بعمه فاختن وهو يضرب برجليه إلى أن مات وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وألف، هذا هو الصواب لا ما في «نشر المثناني» على اضطرابه فأسف الناس عليه لأنّه كان يردد عن المناكر ويزجره عن كثير من القبائح، وذكر في «المتنقى» أبياتاً من إنشاء الكاتب أبي محمد عبد القادر بن أحمد بن القاسم الفشتالي مما كتب تطريزاً على نجاد الواثق بالله أبي فارس المذكور وهي:

أتبه وأزرى بكل نجاد	بروق على حلة الالبس
إذا كنت يوم الوغى محملأ	لغضب حكى شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى	سليل الوصي أبي فارس

عود السلطان زيدان إلى فاس واستيلاؤه عليها ثم إعراضه عنها سائر أيامه

لما سمع السلطان زيدان، وهو بمراكش، بمقتل مصطفى باشا نهض إلى فاس وجاء على طريق الجبل وكان نصارى الإصبنبول يومئذ قد نزلوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك ياذن الشيخ كما سيأتي. وكان عبد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزل النصارى على العرائش فاستنفر الناس وحضرهم على الجهاد فتهيؤوا لذلك وعزموا على التهوض إليها فما راعهم إلا السلطان زيدان قد أقبل من ناحية أدخسان، وقد أنزل بها محنته، وتقدم إلى جهة فاس وضرب بأنفاسه فانهزم الناس عن عبد الله ودخل شراكة فاساً فبعث زيدان قائد عباد الصمد لتسكين روعة أهل البلد وأمر المنادي أن ينادي بنصره، فنزل المنادي إلى أن بلغ باب السلسلة فقام في وجهه بعض السباب من أهل العدو وضربه فجرحه ورجع المنادي وبطل الأمر فبلغ الخبر السلطان زيدان فأمر بإطلاق السبيل في أهل فاس وتحكيم السيف فيهم ثم ندم فأمنهم وسكن روعتهم، ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقاءه، وهو غضبان عليهم، وقد استولى على فاس وتمكن منها، فأخذ يسب أعيانهم وهم بقتلهم ولكن الله سلم.

ثم إن العرب اجتمعوا عند قنطرة المهدومة في نحو ثمانية آلاف فخرج إليهم زيدان ومعه عرب الشرق فانهزموا عنه ولم يبق معه إلا رهط يسير فرأى زيدان أمامه خيلاً قليلة فقصدتها فإذا فيها عبد الله بن الشيخ وقد رأى زيدان مقللاً إليه فقر، مع أن زيدان إنما قصد الفرار إليه من غير علم له به فاستتب أمر زيدان وتراجع إليه أصحابه، ومن الغدر رجع إلى فاس فخرج إليه أهل فاس يهتئونه كباراً وصغاراً فاتهمهم بأنهم يستهزئون به فأمر بهم فسلبوا رجالاً ونساء فكان بعضهم ينظر إلى عورة بعض؛ وكان عدد السلب نحو عشرة

آلاف كسوة ودخل أصحاب زيدان فاساً فنهبواها وفعلوا فيها الأفاعيل، ثم أمر زيدان بتسكين الروعة والأمان وكان ذلك كله السادس رجب سنة تسع عشرة وألف، فلما كان اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء فخرج إليه زيدان واقتتلوا فانهزم زيدان وقتل من أصحابه نحو الخمسين، وفر إلى محلته التي ترك بأد خسان، وكان ذلك آخر رجوع زيدان إلى فاس فإنه لما أعياد أمر الغرب أعرض عنهم وصرف عنانيته إلى ضبط ما خلف وادي أم الريبيع إلى مراكش وأعمالها، وتوارث بنوه سلطنته على ذلك التحول من بعده، وبقي عبد الله بن الشيخ يقطع الأيام بفاس إلى أن هلك، وقام بأمر فاس من بعده ثوارها وسيابها على ما ذكر. وفي كتاب «ابتهاج القلوب في أخبار الشيخ المجذوب» ما صورته: «تكلم الشيخ سيدى كدار يوماً في ملوك وقته فقال: «أما الشيخ معطي العرايتش، فإن أهل الله قد دقروا أوتاده هنالك حتى يموت»، فلم يتجاوز محله إلى أن قتل به حوز تطاوين كما سيأتي، وأما زيدان فإنه لما أطلق السبيل في أهل فاس ضربه مولاي إدريس بركلة صيرته وراء أم الريبيع فلم يتجاوزه بعد ذلك» اهـ.

استيلاء نصارى الإصبعيول على العرائش والسبب في ذلك

قد تقدم لنا ما كان من خبر الشيخ المأمون من أنه فر إلى العرائش ومنها ركب البحر إلى طاغية الإصبعيول مسترحاً به على أخيه السلطان زيدان فأبى الطاغية أن يمده، فراوده الشيخ على أن يترك عنده أولاده وحشمه رهناً ويعينه بالمال والرجال حتى إذا ملك أمره بذلك له ما شارطه عليه ولم يزل به إلى أن شرط عليه الطاغية أن يخلّي له العرائش من المسلمين ويملكه إياها فقبل الشيخ ذلك والتزم، وخرج حتى نزل حجر باديس في ذي الحجة سنة ثمان عشرة وألف ثم تقدم فنزل ببلاد الريف.

ولما سمع ذلك أهل فاس خافوا من شوكته وذهب جمع من علمائهم وأعيانهم كالقاضي أبي القاسم بن أبي النعيم، والشريف أبي إسحاق إبراهيم الصقلي الحسيني وغيرهما لمقاتلاته وتهنته بالقدوم، فلما وصلوا إليه فرح بهم وأمر قبطان النصارى أن يخرج مدافنه وأنفاصه إرهاباً وإظهاراً لقوة النصارى الذين استنصر بهم ففعل حتى اصطككت الآذان وارتجلت الجبال، ونزل القبطان من السفينة للسلام على الأعيان فلما رأوه مقلباً أمرهم الشيخ بالقيام له فقاموا إليه أجمعون، وجازواه خيراً على ما فعل مع الشيخ من الإحسان والنصرة، وسلم هو عليهم بتنوع قلسنته على عادة النصارى، وأنكر الناس على أولئك الأعيان قيامهم للكافر، وضرروا بعضى الذل حتى أنهم في رجوعهم إلى فاس تعرض لهم عرب الحبابية فسلبوهم وأخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعاً ما عدا القاضي ابن أبي النعيم فإنه عرف بزى القضاء فاحترمه.

ثم إن الشيخ انتقل إلى القصر الكبير وهو قصر كتمة وقصر عبد الكريم فأقام به مدة وراود قواه ورؤسائه جيشه أن يقفوا معه في تمكين النصارى من العرائش ليقي له الطاغية بما وعده من النصرة فامتنع الناس من إسعافه في

ذلك ولم يوافقه على غرضه إلا قائد الكرني فإنه ساعده على ذلك فبعثه الشيخ إليها وأمره أن يخليلها ولا يدع بها أحداً من المسلمين، فذهب الكرني المذكور وكلم أهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم جماعة وخرج الباقرون وهم ي يكون تخفق على رؤوسهم أنوية الصغار.

ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الكرني إلى أن دخلها النصارى واستولوا عليها في رابع رمضان سنة تسع عشرة وألف، ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض لأخذ العرائش أمر عظيم، وأنكروا ذلك أشد الإنكار، وقام الشريف أبو العباس أحمد بن إدريس العماني ودار على مجالس العلم بفاس ونادي بالجهاد والخروج لإغاثة المسلمين بالعرائش، فانضم إليه أقوام وعزموا على التوجه لذلك فقت في عصدهم قائدتهم حمو المعروف بأبي دبيرة، وصرف وجوههم بما قصدوا في حكاية طويلة.

وكان الشيخ لما خاف الفضيحة وإنكار الخاصة والعامة عليه بإعطاءه بلداً من بلاد الإسلام للكافر احتال في ذلك وكتب سؤالاً إلى علماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما وغل في بلاد العدو الكافر واقتتحمتها كرهاً بأولاده وحشه منه النصارى من الخروج من بلادهم حتى يعطيهم ثغر العرائش، وأنهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك لهم أولاده رهناً على ذلك، فهل يجوز له أن يهدى أولاده من أيدي الكافر بهذا الشر أم لا؟^(١) فأجابوه بأن فداء المسلمين سيما أولاد أمير المؤمنين سيما أولاد سيد المرسلين ﷺ.

(١) كان من أفتى بالجواز الفقيه محمد بن قاسم ابن القاضي فقتلته العامة بالقربيين عند العشاء يوم الاثنين 21 حجة عام 1140 وسبب قتله ما اتهم به من موافقته على تحكيم النصارى من ثغر العرائش إذ كان حضر مع من استدعي محمد الشيخ من العلماء لأجل ذلك فتعلق بأغراض فاسدة وأمور وافية لم يقبلها أحد امه قاله صاحب التشریح ١ ص 156 وقد تأخر قتله عن الحادثة بستين لأن المأمون قتل سنة 2022 وبظاهر أن العامة كانت تحقد عليه فعمله وانتهزت فرصة الفتن التي توالت بعد ذلك بفاس فانتقمت منه والله أعلم.

من يد العدو الكافر بيعطاء بلد من بلاد الإسلام له جائز وإنما موافقون على ذلك. ووقع هذا الاستفتاء بعد أن وقع ما وقع، وما أجاب من أجاب عن العلماء عن ذلك إلا خوفاً على نفسه. وقد فر جماعة من تلك الفتوى كالإمام أبي عبد الله محمد الجنان صاحب «الطرر على المختصر»، وكالإمام أبي العباس أحمد المقرى مؤلف «فتح الطيب» فاختفيا ملء استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما، ويسبب هذه الفتوى أيضاً فر جماعة من علماء فاس إلى البادية كالشيخ أبي علي الحسن الزياتي شارح جمل ابن المجراد، والحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي وغيرهما^(١).

بقية أخبار الشیخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه

ثم إن الشيخ ابن المنصور نزل بالفحص واجتمعت عليه لمة من أهل الذعارة والفساد على شاكلته فنهض بهم إلى تطاوين فاستولى عليها وأخرج منها كثيرها المقدم المجاهد أبي العباس أحمد التقيس، ولم يزل الشيخ يجول في بلاد الفحص ويعسف أهلها إلى أن ملته القلوب وتمالأ أشياخ الفحص على قتلها لما رأوا من انحلال عقidiته ورقة ديانته، وتسلكه تغز الإسلام للكفار، ففتكت به المقدم أبو الليف في وسط محلته بموضع يعرف بفتح الفرس وبقي صريعاً مكشوف العورة أياماً حتى خرج جماعة من أهل تطاوين فحملوه مع من قتل معه من أصحابه كالدبيرين وبعض أولاده ودفنوهم خارج تطاوين إلى أن حمل الشيخ إلى فاس الجديد مع أمه الخيزران فدفنا به، وكان مقتله خامس رجب سنة الثنتين وعشرين وألف.

(١) ومن أنكر على العالمون وأغلظ له في العلام الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن المعروف بال الحاج الأنصاري البقال من أولاد الحاج البقال، فأنفذه العالمون أعزوه وأنروا به إلى فاس فقتلها بها ضرباً سنة ١٠١٧ ودفن بالسياح وبنيت عليه قبة اهد. قاله التمارجي في تاريخه ج ٤ ص ٢٦٢. وراجع ترجمته في الشرح أول ص ١٠١.

وقال منويل: إنه وصل إلى قرب تطاوين وبين هنالك أفراماً وأقام ينتظر اجتماع الجيوش عليه ثم سكر ذات يوم على عادته وخرج إلى عين ماء هنالك فاستلقى قربها في نبات أخضر أعجبته خضرته فجاءه أناس من أهل تلك البلدة فعرفوه وشدحوا رأسه بصخرة فقتلوه. ويقال إن قتله كان بإشارة الشاعر أبي محلبي الآتي ذكره وإنه كتب إلى المقدمين النقسيين وأبي الليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهوا ماله وكان شيئاً كثيراً، ومن جملة ما نهب منه نحو المد من الياقوت وبقي من ثاثه نحو وسق سفينته كان قد تركه بطنجة فاستولى عليه نصاراها من البرتغال لما قتل، وكان للشيخ عفا الله عنه مشاركة في العلم ويد في مبادئ الطب أخذ عن أشياخ الحضرتين وله شعر متقارب، ومن كتابه الأديب المتنرن أبو العباس أحمد بن محمد الغرديس التغلبي وكان من أهل الإجاده والتبريز في صناعة الإنشاء. قال الشيخ أبو محمد العربي الفاسي في شرحه لدلائل الخيرات عند قوله «وكان لي جار نساخ» ما نصه: «وقد كان الشيخ الكاتب الرئيس أبو العباس أحمد الغرديس شيخ كتاب الإنشاء بحضوره فاس رحمة الله استعار مني كتاب الأنباء في شرح الأسماء للإقليمي ثم مرض موته فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كراسين منسوبة وأخرى معدة للنسخ فقالت لي: «إنني إذا وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه فإذا غلبني ما بي أمسكت» فقال له: «ولم تتكلف هذا؟» فقال: «إنني عصيت الله بهذه الأصابع ما لا أحصيه فرجوت أن يكون ما أعناني على هذه الحال من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملي وكفاره لذلك» فكمّل الله قصده وأتم الكتاب وتوفي من مرضه ذلك وقد طال به سنة عشرين وألف»
اه ولهذا الكاتب يقول الشاعر:

تمتعت يا غرديس والدهر راقد	وأنت بفاس وابن حيون واجد
بسعدك راحت خيزران لقبرها	«مصالحب قوم عند قوم فوائد»

**رياسة ولي الله تعالى أبي
عبد الله سيدى محمد العياشى
على الجهاد ومبدأ أمره في ذلك**

هذا الرجل هو ولي الله تعالى المجاهد في سبيله أبو عبد الله محمد (فتحا) ابن أحمد المالكي الزياني المعروف بالعياشى، ونسبته إلى بني مالك ابن زغبة الهلاليين، وهماليوم قبيلة من عرب الغرب، كان رحمة الله مستوطناً مدينة سلا، وكان من تلامذة الولي العارف بالله تعالى أبي محمد عبد الله بن حسون السلاسي دفين سلا.

وكان ابتداء أمر أبي عبد الله أنه كان ملزماً لشيخه المذكور من أقرب التلامذة إليه وأسرعهم إلى خدمته وأولهم دخولاً عليه وآخرهم خروجاً عنه وكان مع ذلك كثير الورع قليل الكلام مديماً للصيام وقراءة القرآن فكان الشيخ ابن حسون ملتفتاً إليه، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن شاعت مناقب الشيخ وكثرة غاشيه، فأهدى له يوماً بعض أشياخ القبائل فرساناً فأمر الشيخ بإسرابه وقال: «أين محمد العياشى؟» فقال: «ها أنا ذا يا سيدى» فقال الشيخ: «اركب بحول الله فرسك ودنياك وأخرتك» فتقهقر تأدباً فحلف عليه ليركبن وحبس له الركاب بيده، وقال له: «ارتحل عنى إلى آزمور وانزل على أولاد أبي عزيز ولا بد لك من الرجوع إلى هذه البلاد وسيكون لك شأن عظيم» فودعه أبو عبد الله ووضع الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له بخير، فقصد ناحية آزمور ونزل حيث عين له شيخه المذكور، وذلك لأول دولة السلطان زيدان سنة ثلاثة عشرة وألف، فلم يزل أبو عبد الله العياشى مثابراً على الجهاد شديد الشكيمة على العدو عارفاً بوجوه المكايد الحربية بطلًا شهماً مقداماً في مواطن الإحجام وقوراً صموتاً عن الكلام، فطار بذلك في البلاد صيته وشاع بين الناس ذكره لما هو عليه من

التضييق على نصارى الجديدة، وكانوا يومئذ قد أمر أمرهم، ففرج بذلك قائد آزمور، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن توفي قائد الفحص والبلاد الآزمورية فسأل السلطان زيدان عمن يليق بتولية ذلك الشغف فقيل له: سيدى محمد العياشى، فكتب إليه بالتولية فقبل، ونهض بأعباء ما حمل من ولاية الفحص وجهاده.

وكانت له مع نصارى الجديدة وقائع وضيق عليهم حتى منعهم من الحrust والرعي فبعث النصارى إلى حاشية السلطان زيدان بالتحف ونفائس الهدايا ليعزلوا عنهم أبا عبد الله المذكور لمضايقته لهم، فخوفوا السلطان زيدان عاقبته وحضوره على عزله، وأظهروا له أنه مسموع الكلمة في تلك النواحي، وأنه يخشى على الدولة منه، وكان أبو عبد الله العياشى كلما بعث بالغنايم وما يفتح الله به عليه من الأسرار إلى مراكش ازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه، فوغر بذلك قلب زيدان وحنق عليه، فبعث إليه قائد محمد السنوسى في أربعيناته فارس وأمره بالقبض عليه وقتله، وألقى الله في قلب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من براءته مما قدف به فبعث إليه خفية: أن اتج بنفسك فإنك مغدور فخرج أبو عبد الله العياشى في أربعين رجالاً فرساناً ومشاة قاصدين سلاً فاستقر بها ستة ثلاث وعشرين ألف ولما انتهى السنوسى إلى آزمور ولم يجد له أثراً أظهر العناية بالبحث عنه وعاقب شرذمة من أهل الفحص على إفلاته تعمية على السلطان وإقامة لعذرته عنده، فقبل السلطان زيدان ذلك والله غالب على أمره.

ثورة الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بأبي محل

قال في كتابه «أصوليت الخربت» ما ملخصه: «كانت ولادتي سنة سبع وستين وتسعمائة بسجلماسة والذي تلقته من أبي وكافة عمومتي أن أولاد أبي محلی من ذرية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأما جدنا الأشهر المکنی بأبي محلی بفتح العيم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تحتية ساکنة مع كبير شهرته لا علم لي الآن بسبب تكتيته بذلك ولا بتفاصيل أحواله بعد البحث عنه، قال: وبخطة القضاء اشتهر نسبنا فنعرف بأولاد القاضي وزاويتنا بزاوية القاضي ولم تزل بقية العلم في دورنا وخصوصاً دار أبي^(١) اهـ.

وقال صاحب «البستان»: أبو محلی هذا اسمه أحمد بن عبد الله ويتبّع إلى بني العباس ويعرفون في سجلماسة بأولاد ابن اليسع أهل زاوية القاضي انتهى. قلت: أما الاتّساع إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقد انكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية في المغرب، قال في فصل اختلاط الأنساب وما بعده ما نصه: «ولم يعلم دخول أحد من العباسيين إلى المغرب لأنّه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلوبيين أعدائهم من الأدارسة والعبيديّين فكيف يسقط العباسي إلى أحد من شيعة العلوبيين» اهـ ثم قال أبو محلی في الكتاب المذكور: «فلما نشأت في حجر والدي بذل مجاهوده في تعليمي، وقد كانت أمي رأت وهي حامل بي ولينا من أولياء الله تعالى أحد شيوخ التربية ببلدنا، وهو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله السجلماسي، قد سقاها قدحاً من لبن، وأرجو الله صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين» قال: «وكان خروجي لطلب العلم بفاس في حدود

(١) انظر الرحلة العياشية ج ١ ص ١٩.

الثمانين وتسعمائة، وأنا يومئذ مراهق أو بالغ الحلم، لا همة لي إلا في العلم، فأقمت بفاس نحو خمس سنين إلى أن جاء النصارى إلى وادي المخازن فدهش الناس، واستشرت أخاً من الطلبة فدلني على الخروج إلى البادية حتى ينجلني نهار الأمن، فخرجت إلى كريكة فحفظت فيها الرسالة، وقد كنت ما حصلت بفاس إلى التحو، ثم رجعت إلى فاس بعد أن زال الدهش بهزيمة النصارى وولادة المنصور، والنحو صنعتي، وفي الفقه رغبتي.

وقد كنت في الخرجة الأولى إلى البادية زرت قبر الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه فطلبت الله عنده أن أكون من الراسخين في العلوم بأسرها، وتوية يتقبلها بما دار عليّ الحال إلا وأنا بزاوية الشيخ أبي عبد الله سيدى محمد بن مبارك الزعري، لا عن قصد، لكنني إذ ذاك مولعاً بالعلم، أما طريق الفقر فلا تخطر لي ببال لأن المعتمد يومئذ في فقراء الوقت أخلاق الضلال، فكنت أشد الناس حذراً منهم إلى أن انكشف الستر فرأيت ما رأيت ووعيت، فصاحبت شيخي الذي لولاه مع فضل الله لهلكت، ولو لا هدايته ياذن الله لضللتك، أعني أبي عبد الله مولاي محمد بن مبارك الزعري القبيل الجرايي السبيل وهو رضي الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لهم زعير بصيغة التصغير والنسب إليها زعري على التكبير، وهي قبيلة من عرب السوس بالمغرب الأقصى قال: «فبقيت في صحابة شيخي المذكور نحوًا من ثمان عشرة سنة وما فارقته إلا عن أمره إذ هو الذي وجهني إلى بلدي سجلماة من غير اختيار قاتلاً لي: «صلاحهم فيك» ثم ناولني عصاه ويرنسه ونعله من غير طلب مني لشيء من ذلك، وجعل في رأسي قلنسوة كالخرقة بيده اليمنى عند الوداع، فلما استوطنت بلدي عن إذنه زرته منه إحدى عشرة مرة، وفي الأخيرة منها وذلكر بعد مقللي من الحجة الأولى التي كانت ستة اثنين بعد الألف دعا لي بقوله: «بلاك الله أكثر مما بلاني» فتأولتها ياقبال الخلق كما ترى، وقد صاح عندها صيحة عظيمة لم أر مثلها منه منذ

صحيحته، إذ عادته كانت الطمأنينة، ولما توفي رحمه الله بقيت نحواً من ثلاث سنين عاطلاً، ثم تحلى النحر بدرر لطائفه الموعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر فيما أولى» ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أبي العباس المنجور، والشيخ أبي العباس السوداني، والشيخ سالم السننوري وغيرهم ممن يطول ذكرهم، قال: «ثم كملت الفائدة بعد المقلل من الحج فرجعت إلى الديار المغربية ونزلت بوادي الساورة ثم تحولت بجمع عيالي إلى الوادي المذكور» هذا ملخص أوليته منقولاً من كتابه المذكور.

وقال الشيخ أبو العباس أحمد التواتي رحمة الله تعالى في رسالته التي سماها «مقامة التحليل والتخليل من صحبة الشيخ أبي محلٍ» وهي رسالة طويلة مسجعة قال: «كان الفقيه أبو محلٍ في أول أمره فقيهاً صرفاً ثم انتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الأحوال الربانية ولاحت له مخايل الولاية فانحشر الناس لزيارته أفواجاً، وقصدوه فرادى وأزواجاً، وبعد صيته وكثرت أتباعه» قال: «فلما سمعت بذلك ذهبت إليه وجلست عنده إلى أن وجدته يشير إلى نفسه بأنه المهدى المعلم المبشر به في صحيح الأحاديث فتركته وراء ونبذته بالعراة» اهـ.

وقال الشيخ اليوسي في «محاضراته» وقد تكلم على الدعوى الفاطمية ما نصه: ومن ابتدلي بها قريباً أحمد بن عبد الله بن أبي محلٍ التسناوتي خاض في الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق، وألف فيها كتاباً يدل على ذلك ثم نزغت به هذه النزغة فحدثونا أنه كان في أول أمره معاشاً لمحمد بن أبي بكر الدلاني، وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت فقال ابن أبي محلٍ لابن أبي بكر ذات ليلة هل لك في أن تخرج غداً إلى الناس فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر، فلما أصبحا خرجاً، فاما ابن أبي بكر فانطلق إلى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعثه بالحلق وأقام صلاته وأوراده في أوقاتها،

وأما ابن أبي محلبي فتقدما لما هم به من الحسبة فوق في شر وخصام أداه إلى فوات الصلاة عن الوقت، ولم يحصل على طائل، فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر: «أما أنا فقد قضيت ماري وحفظت ديني وانقلب في سلامه وصفاء ومن أتى منكراً فالله حسيبه» أو نحو هذا من الكلام، وأما أنت فانتظ ما الذي وقعت فيه، ثم لم ينته إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة ودعا لنفسه وادعى أنه المهدى المنتظر وأنه بقصد الجهاد فاستخف قلوب العوام واتبعوه». اهـ.

وصار ابن أبي محلبي يكاتب رؤساء القبائل وعظاماء البلدان بأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمساك بالسنة، ويشيع أنه الفاطمي المنتظر، وأن من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فمويق، وربما كان يقول لأصحابه محرضًا لهم على نصرته: «أنتم أفضل من أصحاب النبي ﷺ، لأنكم قدمتم بنصر الحق في زمن الباطل، وهم قاموا به في زمن الحق» ونحو هذا من زخارف كلامه، وإلى ذلك أشار الفقيه أبو زكريا يحيى بن عبد المنعم الحاجي في بعض قصائده معرضًا بأبي محلبي المذكور فقال:

فيمن مضى أسوة من سائر العلماء آراؤكم فغدا الإسلام منقسمًا سدى وخلقكم قد تعلمون لما أما فطنتم وما لاه كمن فهمًا من المهيمن يا الله معتصما قالوا الفقيه فلان قبلنا اعززما ولا أتاه، ألا تبنوا الذي انهدما ها صاحب الوقت يكتفي الذي علما أجر يضاعف في أجفارنا نظما لهم نقوس عوام رشدها عندما	يا أمّة المصطفى الهادي أليس لكم نسيتم دين خير الخلق وافتقرت أتحسبون بأن الله تارككم ناشدتكم بالذي في العرض يجمعنا بأن مغربكم قد عمه سخط إن قيل للناس إن الهرج يوبقكم لو لم يكن جاز ما أفتى الإمام به ومن يقل قال خير الخلق قيل له ونحن أفضل من صحب الرسول لنا وزخرفوا ترهات القول فانفعلت
--	--

نهوض ابن أبي محلی إلى سجلماسة ودرعة واستيلاؤه عليهما ثم على مراكش بعدهما

كان أبو العباس بن أبي محلی عفا الله عنه لما كثرت جموعه وانشال الناس عليه يصرح بوجوب القيام بتغيير المنكر الذي شاع في الناس ويقول: «إن أولاد المنصور قد تهالكوا في طلب الملك حتى فنى الناس فيما بينهم وانتهبت الأموال وانتهكت المحارم فيجب الضرب على أيديهم وكسر شوكتهم»، ولما بلغه ما فعل الشيخ من إجلاء المسلمين عن العرائش وبيعها للعدو الكافر استشاط غضباً وأظهر أنه غضب الله لا لشيء سواه فخرج يوم سجلماسة، وكان خليفة زيدان عليها يومئذ يسمى الحاج المير، فخرج عامل زيدان لمصادمه، وهو في نحو أربعة آلاف، وابن أبي محلی في نحو أربعين ألفاً، فلما التقى الجماعان كانت الدبرة على جيش زيدان، وأشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحاب أبي محلی بارداً لا يضرهم، ونفخ الشيطان في هذه القرية فسكت هيبة في القلوب، وتمكن ناموسه منه، ولما دخل سجلماسة أظهر العدل وغير المنكر فأحبته العامة، وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهنتونه، وفيهم الفقيه العلامة أبو عثمان سعيد الجزائري المعروف بقدوره شارح السلم، وهو من تلامذة ابن أبي محلی كما ذكره في الأصلية، ولما بلغ خبر الهزيمة إلى زيدان وانتهى إليه فلها جهز إليه من مراكش جيشاً، وأمر عليه أخاه عبد الله بن المنصور المعروف بالزيدة فسمع به أبو محلی فسار إليه فكان اللقاء بينهما بدرعة، فوقعت الهزيمة على عبد الله بن المنصور ومات من أصحابه نحو ثلاثة آلاف، فقوى أمر ابن أبي محلی واشتدت شوكته، وجمع بين سجلماسة ودرعة، وكان القائد يونس الأيسى قد هرب من زيدان لأمر نقمته عليه وقصد إلى أبي محلی، فجاء معه يقوده ويطلعه على عورات زيدان ويجهون عليه أمره، وما زال به إلى أن أتى به

إلى مراكش فبعث إليه زيدان جيشاً كثيفاً فهزمه أبو محلبي، وتقدم فدخل مراكش واستولى عليها، وفر زيدان إلى ثغر آسفي. وهم يركوب البحر إلى بر العدوة هكذا في «التزهة».

وذكر الوزير البرتغالي في كتابه الموضوع في أخبار الجديدة: «إن نصارى الجديدة بعثوا إلى السلطان زيدان بمعاتين من مقاتلتهم إعانته له على عدوه من غير أن يطلب منهم ذلك، فلما وصلوا إليه أتف من الاستعانت بهم على المسلمين، لكنه أحسن إليهم وأطلق لهم بعض أسراهם وردهم مكرمين» هذا كلامه «والحق ما شهدت به الأعداء» وذلك هو الظن بزيدان رحمة الله.

ولما دخل أبو محلبي قصر الخلافة بمراكبش فعل فيه ما شاء، وولد له هنالك مولود سماه زيدان، ويقال: إنه تزوج أم زيدان ويني بها ودببت في رأسه نسمة الملك ونسى ما بني عليه أمره من الحسبة والنسك.

وفي «المحاضرات» للشيخ اليوسي رحمة الله ما صورته: «وزعموا أن إخوانه من القراء ذهبوا إليه حين استولى على مراكش برسم زيارته وتهنته، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهتلونه ويفرجون له بما حاز من الملك، وفيهم رجل ساكت لا يتكلّم، فقال له: «ما شائك لا تتكلّم؟» وألح عليه في الكلام، فقال الرجل: «أنت اليوم سلطان فإن أمتني على أن أقول الحق قلت» قال له: «أنت آمن فقل» فقال: «إن الكرة التي يلعب بها الصبيان يتبعها المائتان وأكثر من خلفها وينكسر الناس وينجرحون وقد يموتون ويكثر الصياح والهول فإذا فتشت لم يوجد فيها إلا شراوبيطه أي خرق بالية ملفوفة، فلما سمع ابن أبي محلبي هذا المثل وفهمه بكى وقال: «فرمنا أن نجير الدين فأتلفناه» انتهى.

استصراخ السلطان زيدان بأبي زكرياء

يحيى بن عبد المنعم الحاجي

ومقتل أبي محلی رحمة الله

لما التف الرعاع من العامة على أبي محلی وكثرت جموعه وعلم زيدان
ضعفه عن مقاومته كتب إلى الفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن
عبد المنعم الحاجي ثم الداودي مستغثياً به، ثم وقد عليه بنفسه. وكان يحيى
بزاوية أبيه من جبل درن، وله شهرة عظيمة بالصفع السوسي وله أتباع، فأتاه
السلطان زيدان وقال له: «إن بيتعني في أعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب
عليكم الذب عنني ومقاتلة من ناؤني»، فلبّي أبو زكرياء دعوته، وحضر
الجيوش من كل جهة، وخرج يوم مراكش في ثامن رمضان سنة اثنين
وعشرين ألف.

ولما انتهى إلى فم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش كتب إليه
أبو محلی بما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله إلى
يحيى بن عبد الله، أما بعد، فقد بلغني أنك جندت ويندت، وفي فم تانوت
نزلت، اهبط إلى الوطاء، ينكشف بیننا الغطاء، فالذئب خثال والأسد صوال،
والأيام لا تستقيم إلا بطعم القنا وضرب الحسام والسلام» فأجابه يحيى بما
نصه: «من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله، أما بعد، فليست الأيام
لي ولا لك إنما هي للملك العلام، وقد أتيتك بأهل البنادق الأحرار، من
الشبانة ومن انتمى إليهم منبني جرار، ومن أهل الشرور والبؤس، من
هشتوكة إلىبني كنسوس، فالموعد بيني وبينك جيليز، هنالك يتقم الله من
الظالم ويعز العزيز».

ثم زحف يحيى إلى مراكش في جموعه فنزل بقرب جيليز جبل مطل
على مراكش، ويرز إليه أبو محلی، والتجم القتال بينهما فكانت أول رصاصة
في نحر أبي محلی فهلك مكانه، وانذعرت جموعه، ونهبت محلته، واحتز

رأسه وعلق على سور مراكش، فبقي معلقاً هنالك مع رؤوس جماعة من أصحابه نحواً من اثنتي عشرة سنة، وحملت جثته فدفنت بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك عند المسجد الجامع. وزعم أصحابه أنه لم يمت ولكنه تغيب.

قال اليفرني: «وحدثني من أثق به من أهل وادي الساورة أن فيهم إلى الآن من هو على هذا الاعتقاد».

وذكر الشيخ اليوسي في «المحاضرات»: «أن أبو محلبي كان ذات يوم عند أستاذه ابن مبارك فورد عليه وارد حال فتحرك وجعل يقول: «أنا سلطان أنا سلطان» فقال له الأستاذ: «يا أحمد هب أنك تكون سلطاناً، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً» ووقع في يوم آخر للفقراء سماع فتحرك أبو محلبي وجعل يقول «أنا سلطان أنا سلطان» فتحرك فقير آخر وجعل يقول: «ثلاث سنين غير ربيع، ثلاث سنين غير ربيع» قال: «وهذه هي مدة ملکه» اهـ.

ويذكر أنه لما طاف بالبيت في وجهه الحجازية سمع وهو يقول: يا رب إنك قلت، وقولك الحق، **﴿وَتَلَكَ الْأَيَّامُ ثُدَّاً لَهَا يَئِنَّ أَثَابِ﴾** [آل عمران: 140] فاجعل لي يا رب دولة بينهم، قالوا: «ولم يسأل حسن العاقبة فرزق الدولة وأكبه الأمر إلى ما أبرمه يد القدرة» وكان أبو محلبي رحمة الله فقيهاً محصلاً له قلم بلخ ونفس عال، وله تأكيل منها «الوضاح» و«القططاس» والأصليل» و«الهودج» و«منجنيق الصخور في الرد على أهل الفجور» وجواب الخروبي عن رسالته الشهيرة لأبي عمرو القسطلي» وغير ذلك، وقد وقعت بيته وبين يحيى بن عبد الله مراسلات ومهاجيات نظماً ونشرأً ك قوله:

أيحيى الخيس النذل مالك تدعى	يزور شعاراً للفحول الأوائل
كدعواك في بيت النبوة نسبة	وأنت دني من أحسن القبائل
ووجهك وجه القرد قبع صورة	ورأسك رأس الديك بين المزابل

ويزعمون أن يحيى كان معاشرأ لأبي محلـي أيام الطلب بالمدرسة بفاس قال اليفرني: وحدثني صاحبنا القاضي أبو زيد السكتاني أنه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبي محلـي من الشعر في غرض الهجاء وغيره.

وقد رمز تاريخ ثورة أبي محلـي ووفاته، الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد المريدي المراكشي فقال: «قام طيشاً ومات كباشاً» ولا يخفى ما فيه بعد إفادة التاريخ من حسن التلميـح وبدعـة التورـية، ولما قـتل ابن أبي محلـي دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافـة منها وألقـى بها عصـا تسـيارـه، ورامـ أن يتـخذـها دار قـرارـه، فـكـتبـ إـلـيـهـ السـلـطـانـ زـيـدانـ يـقـولـ: «أـمـاـ بـعـدـ فـإـنـاـ كـنـتـ إـنـماـ جـهـتـ لـنـصـرـتـيـ وـكـفـ يـدـ ذـلـكـ الثـاثـرـ عـنـيـ فـقـدـ أـبـلـغـتـ الـمـرـادـ وـشـفـيـتـ الـفـوـادـ، وـإـنـ كـنـتـ إـنـماـ رـمـتـ أـنـ تـجـرـ النـارـ لـقـرـصـكـ، وـتـجـعـلـ الـمـلـكـ مـنـ قـنـصـكـ فـأـقـرـ اللـهـ عـيـنـكـ بـهـ» والـسـلـامـ. فـتـجـهـزـ يـحـيـيـ لـلـعـودـ إـلـىـ وـطـنـهـ وـأـظـهـرـ الـعـفـةـ عـنـ الـمـلـكـ وـأـنـهـ إـنـماـ جـاءـ لـيـدـافـعـ عـنـ السـلـطـانـ الـذـيـ بـيـعـتـهـ فـيـ عـنـقـهـ، وـأـنـقـلـبـ إـلـىـ بـلـادـهـ وـرـجـعـ زـيـدانـ إـلـىـ مـرـاكـشـ، فـأـسـتـقـرـ بـدارـ مـلـكـهـ وـقـدـ قـيـلـ: إـنـ يـحـيـيـ رـامـ الـمـلـكـ وـإـنـ أـجـتـادـهـ مـنـ الـبـرـيرـ لـمـ يـسـاعـلـوـهـ فـيـ قـصـةـ طـوـيـلـةـ. وـالـلـهـ أـعـلـمـ.

**بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن
عبد المنعم الحاحي وما دار بيته
وبين السلطان زيدان رحمة الله**

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي المناني وكان جده سعيد واحد وقته علماً وديباً وهو الذي أحيا الله به السنة بالسوس، وانتعش به الإسلام فيه، وتوفي سنة ثلاط وخمسين وتسعمائة فخلفه ولده أبو محمد عبد الله وجرى على نهجه وسبيله، بل كان بعض الناس يفضله على أبيه، وتوفي سنة اثنى عشرة وألف ودفن بزداغة من جبل درن حيث كانت زاويته. ولما مات جلس ولده أبو زكرياء يحيى موضعه وانته杰 سبيله، وكان فقيهاً مشاركاً رحل إلى فاس وأخذ عن شيوخها كالمنجور وغيره، وعن الشيخ العارف بالله أبي العباس أحمد الحسني على ما وجد بخطه السوسي الشهير بأدفال دفينة درعة، وهو معتمده، أخذ عنه كثيراً من الفنون وأجازه في علوم الحديث إجازة عامة، وكان يحيى شاعراً محسناً، وكانت له شهرة عظيمة بالصلاح، وله أتباع كوالده وجده، وتوجهت إلى زيارة الهمم، وركبت إليه النجائب إلا أنه وقع له قريب مما وقع لأبي محلي، فتصدى للملك وخاض في أمور السلطنة فتكلد مشربه، وقد قال بعض العلماء: «إن الرئاسة إذا دخلت قلب رجل لا تقصّر عن إذهب رأسه». ولذلك قال صاحب «القوائد»^(١) في حقه: «إنه قام لجمع

(١) كتاب القوائد الجمة بإسناد علوم الأمة، وصاحبها هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد العجزولي المعروف بالشمارتي نسبة إلى تمنرت واحدة بجنوب الأطلس. تولى قضاء تارودانت وتوفي في حدود السبعين ألف المواقف لسنة 1660. وقد نقل عنه اليهودي الكبير في الزهرة. وتوجد منه نسخة الآن في وقتنا هذا وهو سنة 1351 الموافقة لسنة 1932 في مكتبة قاضي تارودانت السيد موسى بن العربي. وأخرى بخزانتنا الناصرية بسلا.

الكلمة والنظر في مصالح الأمة، فاستمر به علاج ذلك إلى أن توفي ولم يتم له أمر» وكان يراسل السلطان زيدان ويكثر عليه ويجير عليه من استجرار به ويروم إلى مناصحته ابتلاء، ويحسو من ذلك حسواً في ارتقاء، وكان زيدان يتحمل منه أمراً عظيماً. فمما كتب به يحيى إليه ما نصه: «من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله له بجميل لطفه أمين، اللهم إنا نحمدك على كل حال، ونشكرك يا ولی المؤمنین على دفع الالاوة والمحال، ونصلی ونسلم على صفيک أفضل من شدت إليه الرحال، ونستوهبک يا مولانا جميل لطفک وجزيل فضلك في المقام والترحال، عاذرين بوجهک الكريم من مذاخرتنا بسوء أعمالنا يا شديد المحال، هذا وسلام الله الأم، ورضوانه الأعم، ورحمته وبركاته على المولى الإمام العلم المقدم، العلوی الهمام، كيف أنتم وكيف أحوالکم مع هذا الزمان الذي شمر عن ساقه لسلب الأديان، وألح في اقتضاء هواه على كل مديان، فإنما الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوکيل، وبعد، فالباعث به إليکم في هذه البطاقة أمور ثلاثة مدارها على قوله ﷺ: «الذین التصیحُونَ لرسوله ولکتابه ولخاصَّةِ الْمُسْلِمِينَ وعَامِتْهُمْ» فال الأول: بيان سبب الرکون إلى جانبکم، والثاني: الحامل على دفع مناریکم، والثالث: ملازمة نصحکم وتذکیرکم والضجر مما يصدر منکم ومن أغوانکم للرعيۃ، أما الأول فله أسباب كثيرة منها: مراعاة الجناب النبوی الكريم في أهل بيته، ورضي الله عن أبي بکر الصدیق القائل: «ارقبوا محمدًا في أهل بيته» والسائل: «القرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي».

يا أهل بيت رسول الله حبکم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفیکم من عظیم المجد أنکم من لم يصل عليکم لا صلة له
ومنها: نصح خاصة المسلمين الذي هو: الدعاء بالهداية لهم ورد
القلوب النافرة إليهم، ونصحهم بقدر الإمكان مشافهة ومراسلة ومکاتبة، وقد

بذلك الجهد في الجميع أخلص الله القصد في الجميع، وأما الثاني: فلما جرى القدر بتغلب ذلك الإنسان المتسلط على النفس والحرير والأموال وأدخل بتأويلاه بعيدة عن الصواب ما ليس في المذهب، وتعدى خصوص الولاة إلى سائر الرعية فاضلها ومفضولها، ومد مع ذلك يد الوعيد المؤكد بالإيمان إلينا في الأنفس والأموال، فناشدناه، كما تقرر في فتاوى الأئمة رضي الله عنهم، حيث توفرت فيه فضول الصائل كلها بشاهد العيان، فكان الأمر كما قدر الله تعالى، و«**إِنَّمَا مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِهِ**» [الروم: ٤] وأما الثالث: فالكتاب والسنّة والإجماع، أما الكتاب فسورة: والعصر، قائمة البرهان في كل أوان وعصر. وقال تعالى في قضية كليمه: «**وَرَبِّ يَعْمَلُ مَا أَنْشَأَ عَلَىٰ فَلَمْ**
أَكُنْ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ» [القصص: ١٧] وقد استشهد به بعض العلماء في بري فلم لكاتب بعض الأمراء المتقدمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل. قوله جل من قائل: «**وَتَسَاوَلُوا عَلَى الْأَيْرَ وَالنَّفَوَىٰ وَلَا نَعَوْلُوا عَلَى الْأَئْمَرِ وَالْمَدْوَنِ**» [السائد: ٢] وأما السنّة: فالحديث الأول، قوله **عَلِيٌّ**: «المعين شريك»، قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم لكون التغيير العملي إليكم حتى جذبتمونا إليه، ولذلك بارتكاب أصعب مرام عليه، قوله: «من أهان على قتل مسلم ولو بشطر الكلمة جاء يوم القيمة مكتوبًا بين عينيه: آيس من رحمة الله» وقد قال المواق في شرحه على المختصر: «من أهان على عزل إنسان وتولية غيره ولم يأمن سفك دم مسلم فهو شريك في دمه إن سفك» ثم أتى بالحديث المتقدم استعظاماً لذلك الأمر الفظيع، فإننا الله وإنما إليه راجعون، على أنا انخدعنا بالله حتى كنا نؤمن بالقطع سفك الدماء إذ ذاك، حيث كتبت إلينا مراراً وأمنت وأرسلت وكنت أنخوف من هذا الواقع اليوم بأزمور وأسفني ومرأكش والغرب، ولذلك كنت أبحث عليكم في تقرير العهد حتى أتاني القائد عبد الصادق بمصحف ذكر أنه لسلطان تلمسان في جرم صغير، وقال لي: «أمرني السلطان أن أحلف لك فيه نيابة عنه على بقاءه

على العهد فيما بينك وبينه من تأمين كل من أمنت، وإمضاء كل ما رأيته صلاحاً للأمة» ثم لم أكتف حتى أتي القاضي فكتبت إلى معه: «إن كل ما رأيت فيه الصلاح للأمة أمضيه، وأنك آمنت كل من أمنت» ثم بعد استقرارك في دارك كتبت إلى كتاباً: «إنك باق على ما تعاهدنا معك عليه من الأمور كلها على معيار الشريعة» فما راعني إلا وقد أخفرت في ذمة الله وأمانتي الذي عقدته للناس، فمن مأسور ومقيد ومطلوب بما ومحظوظ عن بلد، وأخبار آخر ترد علينا من جهة السواحل، وأن الناس تبع فيها للعدو دمه الله، ولم نر من اهتم بذلك من قلدمته أمر الشغور، فلم ندر هل بلغك ذلك فتسقط عنا ملامة الشرع، أو لم يبلغك فأعلمتنا الله لتطمئن قلوبنا، فإنني أكتتبك في ذلك فلا أرى جواباً، فقضيت والله من الأمر عجباً، فإن عددت ما من الله به عليك من رجوعك إلى سرير ملكك واجتمعتك بسريرك آمنا من قبيل النعم فقيده بما تقيده به كما في كريم علمك، وإن رأيته بتنظر آخر فإن الله ما في السموات وما في الأرض، وأما الإجماع: فلم نر من العلماء من نهى عن نصح خاصة المسلمين وتنبيههم على ما يصلح بهم وبالرعاية، بل عدوه من الدين للحديث الأول وغيره، وأما ما استشرناه من امتعاضكم من عدم الآلة القول في مكاتبتنا لكم فما خاطبناكم قط رعياً لذلك، ولو بنصف ما خاطب به الأئمة الأول أهل زمانهم اتكلأ على مطالعتكم لكتبهم، وعلمكم بما لم نعلمه من ذلك ولم نزره، ويكفيكم نصح الفضيل وسفيان وإمامنا مالك رضي الله عنهم، لمعاصريهم من الولاة ومنهم من بكى واتفع، ومنهم من غشى عليه وتوجع، ومنهم من ندم واسترجع، إلى غير ما ذكرنا على اختلاف الأعصار، وتنوع الدول والأقطار، فبن تلك اقتدينا، وبما كان عليه أشياخنا وأسلافنا لكم ولأسلافكم عملنا، كالفقير شيخ والدنا رحمة الله سيدى عبد الله الهبطي لجدكم المرحوم بكرم الله فطمعت بنجاح النصح ونفعه دنيا وأخرى، فهذا أصل قضيتنا معكم وهم جزاً، والذكرى تنفع المؤمنين على كل الأحوال، والحمد لله على كل حال، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله خير آل، ويتاريخ أواخر دين النبي الأنور كتبه عن إذنه رضي الله عنه

عبد ربه محمد بن الحسن بن أبي القاسم لطف الله به بمنه» اه فأجابه
السلطان زيدان رحمة الله بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآلها وصحبه وسلم تسليماً:

من عبد ربه تعالى المفترض المعترف: زيدان بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد، إلى السيد أبي زكرياء يحيى بن السيد أبي محمد عبد الله ابن سعيد، أعنانته الله وإلياكم على اتباع الحق، وننعواذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد ورد علينا كتابكم فقضضنا ختامه ووقفنا على مائر فصوله، ثم إننا إن جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيركم ذلك وأدى إلى المبالغة والمشاجحة، فيحكى عن عثمان رضي الله عنه أنه بعث إلى علي رضي الله عنه وأحضره عنده وألقى إليه ما كان يجلده من أولاد الصحابة الذين اعصوصبوا بأهل الردة الذين كان رجوعهم إلى الإسلام على يد الصديق رضي الله عنه وهو في كل ذلك لا يجيئه، فقال له عثمان رضي الله عنه: ما أسكنك؟ فقال: «يا أمير المؤمنين إن تكلمت فلا أقول إلا ما تكره، وإن سكت فليس لك عندي إلا ما تحب» ولكن لما لم أجده بدأ من الجواب أرى أن أقدم لك مقدمة قبل الجواب، فلتتعلم أن الحجاج لما ولاه عبد الملك العراق وكان من سيرته ما يعني اشتهره عن تسطيره هنا، فتأول ابن الأشعث الخروج عليه وتتابعه على ذلك جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وأمثاله من أولاد الصحابة رضي الله عنهم، ولما قوي عزمه على ذلك استدعوا الحسن البصري لذلك فقال: «لا أفعل فإنني أرى الحجاج عقوبة من الله فنفرع إلى الدعاء أولى» قال بعض فضلاء العجم: يؤخذ من هذا أن الخروج على السلطان من الكبائر وجواز المقام تحت ولایة الظلم والجور، وقد علمت ما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث وسعيد وأمثاله، وعلمت قضية أهل الحرفة، لما أوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ولما بلغه الخبر أشتد:

لبيت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
 وشاع ذلك عنه وذاع، وكان على عهد أكابر الصحابة وأولادهم، ولا
 تعرض أحد منهم لنكير عليه، ولا تصدى لقيام ولا خاطبه بسلام، وأما ما
 يرجع إلى جواب الكتاب فاما ما حكى عن الصديق رضي الله عنه في أهل
 البيت والأحاديث الواردة فيهم وأنه يجب تعظيمهم واحترامهم وتجليلهم
 لأجل النبي ﷺ، فإن كان يجب عليكم تعظيمهم فأن تعظيمهم يجب على
 أولى وأولى عملاً بقوله تعالى: ﴿فَلْ لَا يُنَتَّخُ عَنِيهِ أَغْرِي إِلَّا الْمَوَدَةُ فِي الْقُرْبَى﴾
 [الشورى: 23] وأجرى الله تعالى عادته أنه ما تصدى أحد لعداوة هذا البيت
 النبوى إلا كله الله لوجهه، وأما ما أوردتم من الأحاديث في النصح فإني والله
 أحب أن تنصحني سراً وعلانية مع زيادة شكري عليه، وأراها منك مودة
 وأعدها محبة، ولكنني أفعل ما أقدر عليه، لأن الله سبحانه يقول: ﴿لَا يَكُفُّ
 اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا﴾ [البقرة: 286] ولهذا قال أكثر العلماء في صدور
 تصانيفهم: «ولم آك جهداً في كذا» لأن النفوس الشريفة العالية لا تترك من
 فعل الخير والجد في اكتسابه إلا ما عز تناوله عليها وصعب اكتسابه.

وأما ما ذكرتم من أمر أبي محلى وسيرته وما كان تسلط عليه، أما ما
 كان من استئنافكم إليه المرة بعد المرة وتكررت في ذلك إليكم الرسل
 حتى أجبت إليه فلا تحتاج فيه إلى إقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة
 وقد قال ﷺ: «من أراد أن يشق عصاكم فاقتلوه كائناً من كان» وإنما فلو
 دخل الملك من بابه وبابه أهل الحل والعقد وأخذ ذلك بوسائل مثل بيعة
 جدنا المرحوم التي تضافرت عليها علماء المغرب وأهل الدين المشاهير،
 فلو كان وصل إلى ذلك بمثل هذه الوسائل لم يجب حرمه ولا القيام عليه بما
 ذكرتم، لأن السلطان لا ينزع بالفسق والجور، وإنما فإن الصحابة في زمن يزيد
 بن معاوية لا يخصى عددهم، وما تصدى أحد لقيام عليه ولا قال بعزله، وإنما
 فإنهم لا يقيمون على الضلاله ولو نشروا بالمناشير، وأما أبو محلى فبمجرد
 قيامه يجب عليك وعلى غيرك إعانتنا عليه لأنك في بيعتنا، وهي لازمة لك،
 فالطاعة واجبة عليك، وأعلم أيضاً أن والدك أفضل منك بدليل: «آباً وكم خير

من أبنائكم إلى يوم القيمة» وكان عمنا مولاي عبد الملك رحمة الله وسامحة على ما كان عليه واشتهر به إعلاناً، وكان والدك في دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستنكر من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان الوقت ولا سمع ذلك منه، فإن كان راضياً بفعله فهو مثله، وإن لم يرض فما وجه سكته والوفادة عليه؟ وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد ابن موسى الجزوئي كانت تكون قطعية واشتهر أمره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته، وقد كان على عهد مولاي عبد الله برد الله صريحة وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه، وما برح الشيخ المذكور يدعوه ولدولته بالبقاء ويظهر حبه، وكان المولى المذكور يعزل ويولى ويقتل، وكان قد شرد منه إلى زاوية الشيخ المذكور العرابي الأندلسي، وولد آضاك وأمثالهم، وكان الشيخ المذكور يقدم للشفاعة فيشفع ولا يتعقب ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده وموته، وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى أمره، ولا استعظم أحد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سبباً لفتح الفتنة، وكان قواد المذكور مثل: وزير ابن شقراء وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مؤمن العلج والهبطي والزرهوني وعبد الصادق بن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم، وبعد عصرهم، قد انغمموا في شرب الخمور واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب، وكان في عصره أحمد بن موسى التامناري والشيشمي وغير الشرقي وأبو عمرو القسطلي ومحمد بن إبراهيم التامناري والشيشمي وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين الذين لا يسع من يدعي هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم فأحسنتوا السيرة، ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقلدح في ولادة الأمر وقادة الأجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع في تدبيرة إليهم، ومثل من ذكر من الأولياء كان علامه الزمان وواحد وقتهشيخ مشايخ إفريقيه وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسنطيني الشیخ المتكلم الصوفي صاحب «الآيات البینات» قد كان من سكان تونس، وكان ملوك تونس ومن انصاف إليهم على الفساد الذي لا ينحصر

واشتهر أمرهم حتى عرروا به في المشارق والمغارب، ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ولا تصدى لتغيير العنكر والأمر بالمعروف حتى قبضه الله إليه.

وأما ما ذكرتم من أن من أغان على قتل مسلم ولو بشرط كلمة جاء يوم القيمة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله هذه حجة عليك لا علينا، لأنني ما سعيت في قتل أحد، يعلم الله، ولا قتل من قتل إلا بأمر القضاة وأهل العلم إن كان. وأعلم أنه إذا كان هذا يكون وعيًّا في قتل الواحد فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المئين والآلاف ونهب الأموال وكيف العريم إلى غير ذلك، أما تعلم أن فتنة أبي محلي قد هلك بسببها من النفوس والأموال ما لا يحصى علده ولا يستوفى نهايته كاتب، وكان كل ذلك على رقبته لأنه هو المتسبب الأول الفاتح أبواب الفتنة لأنه كان يقتل كل من انتهى إلينا حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسة قتيل، ولو لا أبو محلي ما قتلوا وأعظم في حرمة النفوس من هذا الذي قلت قوله تعالى: «**حَكَّتْنَا عَلَى بَيْتِ لِاسْكُوپِيلَ أَنَّمَّا مَنْ قَتَّلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادَ فِي الْأَرْضِ فَحَكَّ أَنَّمَا قَتَّلَ النَّاسَ جَيْحِيًّا**» [المائدة: ٣٢].

وليس في قول المواق ما يحتاج به على السلطان وإنما هو في أصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده مثل أصحاب الشرط، كصاحب الشرطة الذي ينفذ أحكام القاضي، وصاحب شرطة السوق الذي ينفذ الأحكام عن قاضي الحضرة، وغير ذلك من الولايات^(١).

وولاية أبي محلي لا تعد ولاية حتى يعتبر عزله، وما عند المواق وغيره وقفتنا عليه وعرفناه وتلقيناها عن الأشياخ الجلة وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية درستناه المرة بعد المرة، ولست من من ينطبق عليه قوله: «أشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه» ولكن لماذا تحتاج بقول المواق لغرضك وتجعله حجة ولم تجربنا نحن فيما كتبنا إليك به في يونس اليوسي، وقلنا لك

(١) الحشاشة كانوا يبعرون أولاد المسلمين للنصاري.

الله: «الحرم لا يغير عاصيًّا» قال النبي: «وهذا يحتاج به على أهل الزوايا» وأضربت عن الجواب وليس ذلك من أدب الجدل، ولكن أخبرنا عن الوجه الذي منعت به يومن اليوسي من الشرع فإن متابعنا عنده، وإماء أهلهنا في داره إلى يوم الوعنة، وترتب في ذمته لل المسلمين من الأموال والدماء ما علمت، فإن كنت من ي يريد العدل فهلا عدلت فيه، فحيثئذ نعلم أنك لا تريح جهته ولا تذهب بك النفس مذهبها، لا جرم حيثئذ تكون عند ما تريد ومع هذا لما أمسكتنا زوجته وكتبنا لها عبته هو بإماء أهلي وأهل داري، على إني ما رددت شفاعتك منذ عرفك، بعثت لي إبراهيم بن يعزى فسرحناه لغرضك، على أنه ترتب في ذمته ما ينفي على خمسين ألف أوقية، وذلك المال إنما يقال له: بيت مال المسلمين، وإنما كان يجب تخليده في السجن، وأهل الحصن أخرجناهم منه عن آخرهم وأنفلتم كتابكم بردهم فأمرنا بردهم عن آخرهم، وابن يعقوب أزال حاكم البلد وشبة الخليفة تركناه على دارنا وحرك من غير إذنا ولا مشورتنا، وبعثنا مكانه فأنفذت الكتاب فيه فرد لمكانه، ما هو الأمر الذي سافرت كتابك فيه ولا أسرعنا فيه خفافاً؟ وأما مسألة أهل آزمور فلما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرحنا من كان عنده ورددنا الخيل، قضية الحناشة: الناس في شأنهم بالاجتهد، قضية العرب: أعلم أن العرب قد أفسدوا الأرض واستطأوا سوء هذه البلاد والغرب، والذي يليق بهم ما أفتني به سحنون في عرب إفريقيا والمغرب، ولو طالبناهم بمجرد العشر مدة هذه الفتنة في المغرب لأنني ذلك على أموالهم، والناس قد خرجوا عن أطوارهم، وأحبوا الفتنة طلياً للراحة، وانظر كتاب «الإفادة» كذا للقاضي واستطالتهم فيه عليه في قضية شرعية مشرورة في رسمنها القديم، على أنهم أضعف الناس قلوباً، انظر ما صدر منهم مما بالك بالعرب الذين خرجوا عن الطاعة، وتساوي الشيخ والصغير في ذلك، فإن كنت تصغي لمقاتلتهم وإسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم فهذا نفس خراب العالم، وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحمة وما صدر منهم لخدمتكم، ورأيت أن أقدم

لـك مقدمة أمام هذا، وإن كانت أدبية قيل لابن الرومي، وهو علي بن العباس، لم تقل كقول ابن المعتر:

كان آذريوننا والشمس فيه عاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه
فأجاب بأن قال: «لا يقدر أن يقول هو في مثل قوله في وصف
الرفقة:

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به يدحو الرفقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رؤيتها في كفة كرة وبين رؤيتها فوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمي فيه بالحجر»

وقال: «كل منا وصف أوانى بيته» (ورب البيت أعلم بما فيه)، «وأمل مكة أدرى بشعابها» (والصيرفي أعرف بصدق الدينار) وقصة الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقتله الغلام وإقامته الجدار، والكليم يرد عليه في كل ذلك حتى أنبأ الله بسر ما لم يعلم على أن علم الخضر في علم موسى كحلقة ملقاة في فلاة، هكذا قال بعض العلماء، وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به، ومن هنا جوز ابن عربي الحاتمي في بعض كتبه، وأحسب أن ذلك في «الفصوص»: أن الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلع على علم لم يطلع عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فقال مثيرةً إلى نفسه: «أطلعني الله على علم لم يطلع عليه آدم فمن دونه».

واعلم أن السلطنة لها أسرار لا بد منها وسياسة ينكر ظاهرها، ولكن نرجع إلى غرضك ومرادك، أخبرنا: كيف تحب أن يسلك الناس في العرب؟ فإن كنت تحب أن يسلك الناس فيهم مسلك مولاي عبد الله فالزمان غير الزمان والأسعار قد طلعت وبلغت النهاية، والله تعالى قد بعث أنبياءه وأنزل كتبه بحسب ما يتقضيه الزمان، وهذا يعرفه من خالط الشرائع والكتب المتزلة وأخذ العلم من أفواه الرجال، وأدبته مجالس العلم ونحن للشخص لكم الكلام

على بعض ما أورد الناس في الخارج: أما ما بثوا عليه فرضه في صدر الإسلام والدول العظام فلا نطيل بذكره لشهرته، وأما في المغرب خصوصاً، فأول من فرضه عبد المؤمن بن علي، وجعله على أقطاع الأرض بناء على أن المغرب فتح عنوة، وإليه ذهب بعض العلماء، ومنهم من يقول: إن السهل فتح عنوة والجبل فتح صلحاً، فإذا تقرر هذا، وعلمت أن أهل ذلك العصر قد بادروا واندثروا، وبقي السهل كله إرثاً لبيت المال، تعين أن يكون الخارج فيه على ما يرضي صاحب الأرض وهو السلطان، والجبل تتعدى معرفة ما كان الصلح عليه ولا سيل إلى الوقوف عليه فيرجع فيه إلى الاجتهاد، وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله عليهم في فرضه لأول الدولة الشريفة على حسب وفق أئمة السنة ومشايخ أهل العلم والدين في ذلك العهد، فجرى الأمر على السنن القويم إلى أن هبت عواصف الفتنة لأيام ابن عمنا صاحب الجبل، وإدالة مولانا الإمام وصنوه المرحوم على حواضر المغرب وسهله عند الزحف بالأتراب، وامتدت به الفتنة في الجبل إلى أن هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة، وجاء الله من مولانا المقدس بالجبل العاصم للإسلام من طوفان الأهوال، فقدر رضي الله عنه الأشياء حق قدرها ورأى أن المغرب غب تلك الفتنة قد فغر فمه لاتهامه عدوان عظيمان: الترك، وعدو الدين الطاغية، فاضطر رحمة الله إلى الاستكثار من الأجناد لمقاومة العدو والذب عن الدين وحماية ثغور الإسلام، فدعا تضاعف الأجناد إلى تضاعف العطاء، وتضاعف العطاء إلى تضاعف الخارج، وتضاعف الخارج إلى الإجحاف بالرعاية، والإجحاف بالرعاية أمر يستكشف رضي الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة عدله طول أيامه، فلم يمكن له حينئذ إلا أن أمعن النظر رحمة الله في أصل الخارج فوجد بين السعر الذي يبنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطيه الرعية منذ زمن الفرض، وبين سعر الوقت أضعافاً، فحيثئذ تحري رحمة الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه، ودفع ما يساويه بسعر الوقت، فاختاروا السعر مخافة أن يطلع إلى ما هو أكثر،

فأجابهم إليه رضي الله عنه، وعرف الناس الحق فلم ينكره أحد من أهل الدين، ولا من أهل السياسة، ليت شعري لو طلبنا نحن الرعية بسرع الوقت الذي طلع اليوم إلى أضعاف مضاعفة ماذا تقولون، وقد انتقدتم علينا ما هو أخف من ذلك. والحاصل راجعوا رضي الله عنكم ما عند الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية في ضرب الخراج فقد استوفى الكلام في ذلك.

وأما ما تقضيه من العجب لتعطل أجوبتنا عنك فنحن نراجع أقل منك، ولكن كتابك أكد مبناه على قصة أهل آزمور فأنفذنا من آخر الذي كان به وأقصاه عنه وشد من كان عنده فتوقف الجواب حتى رجع الخديم فحيثئذ أجبناكم بما وصلكم، وتعجيل الأجوبة وبطؤها فاعلم أن الذي يقتضي ذلك أمور، منها أن يكون الأمر الذي ورد الخطاب فيه منكم ما سمعت به ولا بلغني فنتوجه للبحث عنه والفحص عن أسبابه فربما أوجب ذلك البطل بحسب الأماكن والبلدان فيكون جوابنا على أساس وبيان، وإن كان عندنا خير ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتاخر، وقد وقع هذا منا غير مرّة، وكون تعطيله منشأه ما من الله به علينا من رجوعنا إلى سرير ملكتنا واجتمعا بسرينا آمنين، اعلم أن أهل هذا المغرب لما تمالئوا علي وخرجت إلى المشرق والتقيت بالترك والأروام وجالسوني وجالستهم وخاطبوني وحاطبthem، فمنهم مشافهة ومنهم مراسلة، وكنت أيام مقامي في أرضهم كمقامي على سرير ملكي، لأن كبرهم وصغرهم ورئيسهم ومرؤوسهم كان يتجمع فضلي ويمد كفه رغبة في نعمتي، وواسيت الجميع عطاها متوفاً مع قلة الزاد والذخيرة، وترفعت عن مواساة الأمائل والأكابر من العجم والعرب، ولا ركنت لأحد، بل تجودت بما قدرت عليه من الأخيبة، حتى جعلت محلة برماتها وخيلها، فترامت على العجم بالرغبة، ويسطوا أكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في جملتهم، وعرضوا على الإقطاعات السنوية، والبلادات المملوكيّة بلطف مقال وأدب خطاب، حتى قال لي القبطان مراد رئيس المجاهدين: «وما مثلك يكون مع العرب ها نحن نخدمك بأموالنا وأنفسنا، وبمالنا من السفن حيث أردت وأحبيت» وما انفصلت عنهم حتى

كتبت لهم بخطي: إني أحمل أهلي وحاشتي وأرجع إليهم إلا إن تمكنت لي الدخول في الملك والغلبة على البلاد أو بعضها، وفقلت من عندهم ولم يتعلق بشوب عفافي ما يشينه معهم ولا مع العرب، ولا كان لأحد عليّ منه ولا نعمة إلا فضل الله علينا عظيماً.

ثم إني دخلت سجلماسة، على رغم أنف أهلها وواليها، ومنها دخلت السوس، وجعلت ولی الله العارف به أبا محمد عبد الله بن المبارك واسطة بيبي وبيبي أخي حتى اجتمعت بأهلي ومالي، ثم بعث إلى الترك بأحد بلکباتش اسمه مصطفى صولجي إلى السوس راغبين في إنجاز الوعد، وجنحت للمسير إليهم فرأيت الأهل والأتباع قد عظم الأمر عليهم واستعظموا الخروج فأسعفت رغبهم في المقام بال المغرب، وشييعت الرسول قافلاً إلى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومخالبة أهلها عليها، وعززته برسول من عندي إليهم بتحف وأموال، ورد بها عليهم مع رسولهم، ثم إني اقتحمت مراكش على أهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقلتي، ففتح الله، ثم خرجت إلى السوس مرة أخرى وأوقعت بولد مولاي أحمد الشريف وجمعه مراكش، وقد تعصبوا عليه لأنهم شيعة جده، فقضضته على رغبهم، ونازلته بالسهيل والحزن حتى أمكن الله منه، وحكم بيبي وبيبي، ثم نجم الغوى أبو محلوي وغلبت على الرأي، وقد قال من هو أفضل مني مولانا على كرم الله وجهه: «لا رأي لمن لا يطاع» ودخل هذه البلاد وخرجت أنا إلى السوس ريشما تجتمع قبائلنا في المكان الذي كان اجتماعهم فيه إلى أن بلغتهم، وقصد إليهم أبو محلوي فقاتلوه ورحل عنهم بعد أن أثخنوا فيه بالقتل، ثم وافيتهم فكان الحرب بيننا سجالاً، فهل سمعتم خلال هذه الأحوال أني احتجت إلى أحد فيما قل أو جل؟ وهذا كله بحيث لا يخفى عليك، اللهم أن تدعوا الوفادة التي وفقدنا عليك من قبيل الاضطرار والاحتياج فلا أدرى، على أني ما قصدتك لطلب دنيا، لأنني كنت أسمع ما أنت عليه من متانة الدين والصلاح والإقبال على طاعة الله والتمسك بسنة رسول الله

﴿لَهُمْ لَا غُرُورٌ أَنْ كَانُوا هَذَا وَصْفُهُ كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يَقْصِدَ اللَّدْعَاءَ وَالإِصْلَاحَ الْقَلْبَ، وَلَا شُكَّ أَنَّا نَزَّلْنَا دَارِكَ وَحَلَّنَا بِمَكَانِكَ، وَلَمَا وَقَعَ الْإِجْتِمَاعُ بِكَ جَرَتِ الْمَذَاكِرَةُ فِي أَبْيِ مَحْلِيٍّ وَغَيْرِهِ حَتَّى كَتَبَ الْكِتَابُ الَّذِي عَلِمْنَا عَلَيْهِ، وَهَا هُوَ يَبْخُطُ بِيَدِكَ، فَإِنْ نَسِيْنَا بَعْضَ مَا فِيهِ وَلَا فَعَلْنَا فَأَخْبَرْنَا بِهِ، نَسْتَدِرُكَهُ، وَهَذِهِ مَرَاكِشُ الَّتِي ذَكَرْتُمْ قَدْ كُنْتَ فِيهَا مَا ذَكَرْتُمْ، وَوَقَفْتُ عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ سَاسِيِّ وَعَدْتَهُ مَرَةً أُخْرَى فِي مَرْضِهِ، وَهُلْ قَصْدُهُ لِتَطْلُبِ دُنْيَا أَوْ عِرْفَتَهُ لِأَجْلِهَا؟ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرٍو لَمَا وَقَفَتْ عَلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي مِنْ بَنَاءِ مَوْلَاهُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَفَتْ عَلَيْهِ فِي دَارَهُ، وَكُلَّ ذَلِكَ إِنَّمَا نَفْعَلُهُ تَأْكِيدًا لِلْمُحْبَّةِ وَزِيادةً فِي الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَعْدُ عَيْبًا وَيَظْنُنَّ أَنَّهُ نُوعٌ مِنَ الْحِتْيَاجِ مَا كُنْتُ وَاللَّهُ لَأَقْفَ عَلَى أَحَدٍ وَلَوْ أَنَّهُ يَمْلَكُنِي الدُّنْيَا بِحَذَافِرِهَا، لَأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ يَبْدُو الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ، فَهُوَ أُولَى بِالاضْطَرَارِ إِلَيْهِ، وَأَمَّا سَرِيبِي فَمَا تَرُوْعُ قَطْ حَتَّى يَأْمُنَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ بِالْدَارِ الَّتِي ذَكَرْتُمْ فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلِيٌّ وَمَتْرُوكُ أَعْمَامِيٌّ. وَهَذِهِ الدَّارُ الَّتِي ذَكَرْتُمْ فَهَا نَحْنُ نَنْتَقْلُ عَنْهَا إِلَى بَعْضِ الْبَلَادِ الْغَرْبِيَّةِ الْبَحْرِيَّةِ كَمَا قَلْتُ لَكَ ذَلِكَ مشَافِهَةً سَاعَةً قَلْتُ لَيْ يَنْبَغِي لِلأشْرَافِ بِنَاءً بِالْجِيلِ لَوْقَتِ مَا، وَحَكَيْتُ ذَلِكَ عَنِ الدَّكَّ، وَأَمَّا مَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ الْقَاضِيِّ أَيَّامَ وَرُودِيِّ إِلَى السُّوسِ وَقَتْ بِلْغَنِي كِتَابَكُمُ الَّذِي نَصَهُ: قَدْ اجْتَمَعَتِ أَنْاسٌ وَفَسَدَتِ النِّيَّاتُ وَتَعَيَّنَتِ الْمَطَامِعُ وَأَرَدَنَا تَدْبِيرَكُمْ، لَأَنَّ الْمُلُوكَ أَهْلَ التَّدْبِيرِ وَالْمَرَادِ رَجُوعُنَا لِأَوْكَارِنَا مِنْ غَيْرِ وَصْمَةٍ تَلْحُقُ الْجَانِبَيْنِ، فَكُلَّمَا حَمَلَ فَهُوَ عَنِي وَالتَّزَمْتُهُ إِلَى الْآنِ إِلَّا مَا طَرَأَ عَلَيْنَا فِي النَّسِيَانِ، فَذَكَرُونَا بِهِ فَإِنَّا لَا نَخْرُجُ عَنْهُ. وَأَمَّا يَمِينُ الْمَصْحَفِ وَأَنِي حَلَفْتُ فِيهِ لِلْقَائِدِ عَبْدِ الصَّادِقِ فَلَا وَاللَّهُ مَا حَلَفْتُ فِيهِ وَلَا أَحَلَفُ لَأَحَدٍ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ، أَمَّا عَلِمْتُ أَنِي حَضَرَتِ بِيَعْدِ الشَّيْخِ الْمَأْمُونِ صَاحِبِ الْغَرْبِ سَامِحَهُ اللَّهُ، وَحَضَرَ أُولَادَ السُّلْطَانِ وَاسْتَحْلَفُهُمْ لَهِ إِلَّا أَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنِّي، فَإِنَّهُ قَالَ: «فَلَانَ لَا يَحْلِفْ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيمَا نَأْمَرُهُ بِهِ وَنَفْعَلُهُ» وَعَظِيمُ ذَلِكَ عَلَى إِخْوَتِي، وَظَهَرَتْ فِي وَجْهِهِمْ لِأَجْلِهِ الْكَرَاهِيَّةُ، وَلَكِنَّ الَّذِي قَلْتُ لِعَبْدِ الصَّادِقِ أَحَلَفُ لِلْمَرَابِطِ فَإِنِّي أَوْفَيْتُ لَكَ بِهِ، وَلَا زَلْتُ عَلَى ذَلِكَ لَأَنَّ

الذي كنت تقول في ذلك الوقت: أخاف أن تقع في أهل مراكش والأكابر ونحوهم مثل حكومة عبد القادر ونحوها. أما أهل مراكش فما تعرضنا لأحد منهم حتى تركنا متابعتنا لأجلكم، كولد المولوع وغيره، وهذا الميدان والشقراء فابعث من رضيت بنادي فيهم، من له حق علينا نصفه منه ومن خدمي أيضاً، وإن كنت سمعت قضية منصور العكاري، فالعكاري نزل أهنتنا في خيمته عند وقعة رأس العين فلما أرادوا الطلوغ إلى الجبل تركوا أكثر مالهم في خيمته مع بعض الخدم خوفاً من غائلة البربر لما كان وقع منهم لأهل بابا أبي فارس فأخذ سماطاً من ذهب يزيد على ستين ألف أوقية، وكان أيام أبي حسون معه وفي جملته حتى مات القائم فبدل حجته بإنجاز عشرين ألفاً والباقي حتى يؤديه على سعة، وطلب منا أن يتعمل ويتولى بعض الخطط ليتفتح ويجمع بعض ذلك فصرفناه، حتى إذا جاء أبو محلبي ووقع ما وقع طالبناه بمتابعتنا وهو لا يسعه إنكاره، وهكذا عبد الكريم الذي في زاويتك بنفسه يعلم أن إخوته أخذوا لي سلعة في وسط حلتهم وأنا بين بيوتهم تزيد على خمسين ألفاً، وأخذوا الإبل، وها نحن سكتنا عنهم ولا طالبناهم بها، وأيضاً قال لك انتظر ما فعل يا خوتي وصرت تكتابنا وأنت لا علم عندك بأصل المسألة، وأما الأموال فإن الله سبحانه قد وسع علينا من فضله وعندنا ما يكفي الخامس والسادس من الولد، وعرفنا الناس وعرفونا وعاملناهم وعاملونا، ولو أردت خسمائة ألف مثقال من أصحاب أفلأ منك، أو من أصحاب الإنجليز وكتبت إليهم في ذلك ما تأنوا في بعثه، ولا لاذوا فيه بمعلنة، وقد كفانا الله به والحمد لله على ذلك.

واعلم أن الظن فيك جميل ولو لا ذلك ما أعطيتك خمسة آلاف مثقال، وسمحت بالمال الذي حمل إليكم ابن عبد الواسع أولاً وسلعة السفنأخيراً، وبهذا كله تستدل على صفاء السريرة وصالح النية، والله سبحانه يعلم ذلك، وأما الامتعاض من عدم الآلة القول وحسن الخطاب، فكما قال تعالى: «وَثُوِّلُوا لِلثَّائِمِ حَسْنَا» [البقرة: 83] وإنك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب به

الأئمة رضوان الله عليهم أهل زمانهم اتكالاً على علمتنا به، وحسنبي نصح
الفضليل ابن عياضن وسفيان ومالك رضوان الله عليهم فهذه المسألة حسبي في
الجواب منك. انتهى ما وقفتنا عليه من هذه الرسالة وهي دالة على براعة
الرجل فقهها وأدباً وكمال مروءة وعلو همة رحمه الله وغفر ذنبه.

**استيلاء نصارى الإصينيول على المعمورة ونهوض
أبي عبد الله العياشي لجهادهم وانتفاض
أندلس سلا على السلطان زيدان رحمه الله**

قد قدمنا في أخبار الوطاسيين ما كان من استيلاء البرتغال على
المعمورة المسماة اليوم بالمهدية ومقامهم بها سنين قلائل ثم جلائهم عنها،
ثم لما استولى الإصينيول خذله الله في هذه المدة على العرائش كما مر
طمحت نفسه إلى الاستيلاء على غيرها وتعزيزها بأختها، فرأى أن المهدية
أقرب إليها فبعث إليها الطاغية فيليبس الثالث من جزيرة قادس تسعين مركباً
حربية فانتهوا إليها واستولوا عليها من غير قتال لقرار المسلمين الذين كانوا
بها عنها هكذا في تواريخ الفرنج.

وقال شارح «الزهرة»: كان نزول النصارى بعرسلي الحلق سنة اثنين
وعشرين وألف وقيل سنة ثلاثة وعشرين بعدها وقيل غير ذلك، وكان عدو
الله الإصينيول أراد أن يضمها إلى العرائش لينضبط له ما بينهما من السواحل
وتقوى عساكره بهما فخيب الله ظنه، ولقي من أهل الإسلام عرق القرية،
وكان أبو عبد الله العياشي بعد رجوعه من آزمور وسلماته من اغتيال قائد
زيدان دخل سلا في نحو أربعين رجلاً وزار ضريح شيخه أبي محمد بن
حسون وبات عنده، فجاءه أهل سلا وذكروا له ما هم فيه من الخوف من
نصاري المعمورة، وأن مسارحهم قد امتدت إلى الغابة وأن النصارى ألفان
من الرماة سوى الفرسان فأمرهم بالتهيؤ إليهم.

وفي «نشر المثاني» ما نصه: وفي أواخر جمادى الثانية سنة ثلاث

وعشرين وألف أخذ النصارى المهدية فكتب أهل سلا إلى السلطان زيدان فبعث إليهم أبي عبد الله العياشي الذي كان مقدماً بوكالته على الجهاد بدكالة، وهو يقتضي أن مجيء العياشي إلى سلا كان بإذن السلطان لا فراراً منه، والأول أصح اللهم إلا أن يكون مجئه فاراً كان بعد هذا التاريخ والله أعلم.

وأمر أبو عبد الله العياشي أهل سلا بالتهيؤ للغزو واتخاذ العدة فلم يجد عندهم إلا نحو المائتين منها، وكانت السنون والفتنة قد أضيقتها، فحضرهم على الزيادة والاستكثار منها، فكان مبلغ عدتهم بما زادوه زهاء أربعين ألفاً، ثم نهض بهم إلى المعمورة فصادف بها من النصارى غرة فكانت بينه وبينهم حرب قربها إلى أن غربت الشمس، فقتل من النصارى زهاء أربعين ألفاً، ومن المسلمين مائتان وسبعين، وهذه أول غزوة أوقعها في أرض الغرب بعد صدوره من ثغر آزمور، ومنها أقصرت النصارى عن الخروج إلى الغابة، وضاق بهم الحال.

ثم إن السلطان زيدان لما بلغه اجتماع الناس على سيدي محمد العياشي بسلا وسلماته من غدرة قائد السنوسي بعث إلى قائد على عسكرو الأندلس بقبضة سلا المعروفة بالزرعوري، وأمره باغتياله والقبض عليه، ففلاوض الزرعوري أشياخ الأندلس في ذلك، فاتفق رأيهما على أن يكون مع العياشي جماعة منهم عيناً عليه، وطليعة على نيته، واستخبراؤه لما هو عازم عليه، وما هو طالب له، فلازمه بعضهم. وشعر العياشي بذلك فانقض عن الجهاد ولزم بيته.

ثم إن الله أوقع الثغرة بين السلطان زيدان وبين أهل الأندلس، وذلك أن السلطان المذكور كان قد بعث قبل ذلك إلى القائد الزرعوري أن يجهز إلى درعة أربعين ألفاً من أندلس سلا، فجهزهم إليها وطالت غيبتهم بها، ففر أكثرهم ونفرت قلوبهم عن الزرعوري وسلطانه، فكان زيدان يبعث إلى أهل الأندلس بسلا بتجديد البعث إلى درعة فيأبون الانقياد إليه في ذلك وكرهوه وأزمعوا على خلع طاعته، ثم وشاوا إليه بقائد الزرعوري فبعث زيدان

بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الأندلس داره، وكتبوا إلى السلطان بذلك مظہرین طاعته مكيدة ونفاقاً، فبعث إليهم مولاً وقائد المملوك عجیباً فمکث بين أظهرهم مدة فلم يعثروا به وصاروا يهزّون به، ثم عدوا عليه فقتلوه فظهور منهم شق العصا على السلطان زیدان، وأظلم الجو بيته وبينهم، ويقي أهل سلا فوضى لا والي عليهم، وكثير النهب، وامتدت أيدي اللصوص إلى المال والحرير، وسيدي محمد العیاشی ساكت لا يتكلّم، واستمر الحال على ذلك إلى أن كان من أمره ما نذكره بعد هذا إن شاء الله.

انعطاف إلى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين بها وما تخلل ذلك

قد قدمنا ما كان من قدوم السلطان زیدان إلى فاس أواسط سنة تسع عشرة وألف واستيلائه عليها ثم خروجه عنها وإعراضه عنها وعن أعمالها إلى آخر دولته، وكان عبد الله بن الشيخ حیاة أبيه الشيخ تحت أمره يصغي إليه ولا يقطع أمراً دونه، وقيل إنه خرج عن طاعته سنة عشرين وألف ولما قتل أبوه ببلاد الهبط كما مر استبد عبد الله هذا بفاس وما انضاف إليها على وهن وفشل ريح، وكان غالب جنده من شرافة، وشرافة هؤلاء هم عرب بادية تلمسان وما انضاف إليها، وسموا بذلك لأنهم في ناحية الشرق من المغرب الأقصى، فأهل تلمسان وأعمالها يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة، وأهل المغرب الأقصى يسمون أهل تلمسان وأعمالها مشارقة، لكن العامة يلحون في هذه النسبة فيقولون شرافة، فكان غالب جند عبد الله من هؤلاء العرب ومن انضم إليهم فهم حماته وأنصاره وبهم كان يعتصم، حتى أعطاهم أجنة الناس ودورهم، فكان الرجل من أهل فاس يأتي بستانه فيجد الأعرابي بخيته في وسطه فيقول له: «أعطيانيه السلطان».

ومدوا أيديهم إلى حريم الناس ونهبوا الأسواق وجاهروا بالفساد وأظهروا السكر في الطرقات، واقتضوا على الناس دورهم، حتى أن امرأة كانت تطيخ خليعاً وولدها رضيع عندها فاقتضوا عليها الدار أحد شرافة فهربت

المرأة وأغلقت عليها مشربة لها فلم يقدر لها على شيء فراودها على النزول فأبانت، فقال لها: «إن لم تنزلي رميت الولد في الطنجير» فتمادت على الامتناع فرمى به فيه، فما هو إلا أن رأت ولدها في وسط الطنجير صاحت وألقت بنفسها عليه، فاندقت رقبتها وماتت، فغاظ الناس ذلك وأعظموه.

وقام رجل منهم يقال له أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف الزرهوني محسناً على شرافة، واعتبر صاحب عليه كثير من العامة، وقاموا بنصرته، فقتل شرافة والتلاميذ بفاس حيث وجدوا وحكم السيف في رقابهم ونفاهم عن فاس، وحمها من إذايهم وطهرها من رجسهم، فاستحسن الناس أمره وأذعنوا إليه.

قال في «المرأة»: «وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الأول، يعني سنة عشرين وألف ثار بفاس الشريف أبو الربيع سليمان بن محمد الزرهوني، وعضوه الفقيه أبو عبد الله محمد اللقطي المعروف بالمربيع، وبعدهما أهل فاس بأجمعهم، وأخرجوا من كان بها من جيش السلطان وقتلوا كثيراً منهم وجرت في ذلك خطوبات بعد سنتين إلى انقطاع الملك بفاس وبقي الناس فوضى إلى الآن» اهـ كلام «المرأة».

وكان ابتداء أمر شرافة واستبداد شوكتهم سنة ست عشرة وألف كانوا إدالة على أهل فاس نازلين بقصبة الطالعة وبقصبة أخرى وببعض الفنادق وقرب باب المسافرين، إلى أن قام عليهم الشريف أبو الربيع في التاريخ المتقدم، وكان عبد الله بن الشيخ يوم ثورة أبي الربيع وفتنه بشرافة غالباً في سلا فلما بلغه الخبر قدم ورام أن يصلح بين أهل فاس وبين شرافة وراودهم على ذلك فقالوا: «لا». فسميت تلك السنة سنة لا لا. ثم أمر أبو الربيع أهل فاس بشراء العدة والتهيؤ لقتال شرافة وخرج إليهم فاقتتلوا خارج باب الجيسة فانهزمت شرافة، واستتب أمر أبي الربيع وسكنت أحوال المدينة وأمن الناس أماناً لم يعهد من زمان السلطان الغالب بالله.

وفي يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الثانية سنة عشرين وألف كانت

وقد المترقب، موضع خارج باب الفتوح، وسببها أن أهل فاس استغاث بهم الملائكة واستصرخوهم على شرارة مكيدة وخيلة فخرجوها في يوم شديد الريح وكمن لهم شرارة بخولان وأغاروا عليهم بغنة، فانهزم الناس وقتل من أهل فاس نحو الألفين.

وفي «نشر المثاني» سبعمائة فقط، قال وجدهم هلك بالعطش، وغلقت الأبواب واضطربت المدينة، وهاج الشر بسبب ذلك مدة، ثم خرج أهل فاس مرة أخرى لقتال عبد الله بن الشيخ فهزمه وأسره، ويقي في أيديهم فعموا عن قته وأطلقوه، وذهبوا خلفه حتى دخل داره من فاس الجديد.

ولما قتل أبوه الشيخ سنة اثنين وعشرين كما مر. واتصل خبر مقتله بابنه عبد الله عزم على الأخذ بثاره من قاتليه أولاد أبي الليف، وأزمع المسير إليهم، ووافقه على ذلك الشريف أبو الريبع والفقير المربي وأصحابهما وامتنعت العامة من النهاب معهم، لأن الشيخ لم تبق له في نفوس المسلمين مودة حيث باع العرائش للنصارى، فاجتمعت العامة بجامع التروين وقالوا: «لا نقبل سليمان ولا المربي» وحاصلوا حبصة حمر الوحش، واتخذوا رؤساء آخرين فوقع بسبب ذلك شر عظيم أدى إلى قتل الشريف مولاي إدريس بن أحمد الجوطى العمري التونسى، وسبب ذلك أن منادي أبي الريبع مر ينادي في السوق باستفار الناس مع عبد الله بن الشيخ، فقام إليه الشريف مولاي إدريس وضربه بعصا وسمه، فأقبل أبو الريبع ومن معه واقتحموا على مولاي إدريس دار القبطون وقتلوا على خصتها، ولما كان صباح القبر من الغد قام ولد مولاي إدريس وشكرا هضيئته لعلمه فاس، فأمروه بالصبر. ثم التفت عليه أهل العدو وقصدوا دار أبي الريبع وناوشوه الحرب، فرجعوا مفلولين وقتل بعضهم والأمر شهـ وحلهـ، ووقع الغلاء حتى بيع القمح بأوقيةين وربع للمد، وكثرت الأموالـ، حتى أنـ صاحب المارستان أحصى من الأموالـ من عيد الأضحى من ستة اثنين وعشرين وألف إلى ربيع النبوـي من السنة بعدهـ أربعة آلاف وسبعينـ، وخربـت أطرافـ المدينةـ وخلـتـ المدارسـ، ولمـ

يق بلمعنة إلا الوحوش، وكثير النهب في القرافل.

ولما كان العحرم فاتح سنة ست وعشرين وألف قبض الشريف أبو الربيع على أربعة من كبار شرافة ثم قتلهم، فوجم لها اللططيون وخاف الناس على المدينة، وتوقعوا الشر وعظم الرعب في القلوب حتى وقعت بسبب ذلك الهزيمة في كل مسجد من مساجد الخطبة بفاس، وذلك أنه كان إمام جامع القرويين ذات يوم يخطب، والناس في صحن المسجد، فوقع شرُّوب من المطر غزير، فابتذر من في الصحن الدخول إلى تحت السقف، فظن الناس أن أبي الربيع قد قصده شرافة فانهزموا وخرجوا من المسجد لا يلوى أحد على أحد، فبلغ الخبر إلى أهل جامع الأندلس فاقتدوا بهم، وبلغ الخبر إلى أهل الطالعة فكان كذلك، وتتابعت الهزائم بالمساجد.

وفي يوم السبت الخامس من صفر سنة ست وعشرين وألف قتل الشريف أبو الربيع غدرًا في جنازة رجل لم يطلي خرج إليها، فقتلته الفقيه المربيع، وقتل أباه وأبناء عممه وستة من أصحابه، ودفن مع والده بمسجد الجرف، ولما قتل أبو الربيع بقيت فاس في يد المربيع واعصوصب عليه اللططيون، واشتدت شوكته، ثم قدم جمع من عشيرة أبي الربيع من زرهون وحاولوا الفتك بالمربيع فقطن بهم وقع بينه وبينهم قتال هلك فيه نحو مائة وثلاثين رجلاً وسلم المربيع منها.

وقال صاحب «معتمد الراوي»: لما قتل أبو الربيع الزرهوني قام آخره مولاي أحمد يطلب بثاره وساق معه نحو أربعينات من الزراهنة واقتتحم بهم فاس، وقاتلوا الفقيه المربيع وشييعته من اللططيين، فالتف أهل فاس على المربيع وقاتلوا معه الشريف يبدأ واحدة، فانهزم الشريف وقتل جل من معه، وكاد يقبض عليه باليد، ففر إلى روضة سيدي أحمد الشاوي، ومعه نحو الثمانين من أصحابه، فتبعهم الفقيه المربيع في جمع عظيم من اللططيين واقتتحم عليهم الروضة فقر الزراهنة إلى بيت دار الشيخ فهجم عليهم المربيع بجنده وقتلهم أجمعين. ثم إن المربيع واللططيين جازوا بргل يقال له عبد الرحمن الخنادي كان يتبعه بزرهون فاستقدموه في جمادى الأولى سنة سبع

وعشرين وألف ورافقوا أن يملكونه ويجتمعوا عليه، فأنزلوه مع أصحابه في روضة الشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم، واتصل الخبر بالقائد أحمد بن عميرة وزير عبد الله بن الشيخ فأتى وقتها بأصحاب الرجل المذكور، ولجا هو إلى ضريح الشيخ ابن حرزهم فرمي من طاق هنالك فقتلوا وسقط ميتاً على القبر وبطلاً أمره.

ولما ستم أهل فاس من الفتنة وكثرة الحصار وضاق بهم الحال من غارات الأعراب ذهبوا إلى عبد الله بن الشيخ بفاس الجديد ونصروه وأظهروا المحبة له، ففرح بهم غاية، وتحالفت العامة والخاصة على نصره والإذعان إليه، فصفح عنهم وعفا لهم عما سلف، وبعث وزيره إلى المرربع بالأمان فلم يأمن، وخف على نفسه، وصمم مع اللطميين على قتال عبد الله وتهيئوا له حتى لم تصل الصلوات الخمس بالقرويين، ثم إن القائد حمو بن عمرو وزير عبد الله أمر بأن ينادي بأمان اللطميين، فقر اللطميون عن المرربع حينئذ حتى لم يبق معه إلا قليل ثم بعث إليه عبد الله بسبحة وختمه أماناً فلم يأمن وفر ليلًا إلى بني حسن فأخذته شيخهم سرحان وأتى به إلى عبد الله فعفا عنه، وعادت دولة عبد الله إلى شبابها، واستتب أمره وتمهدت له البلاد، وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وألف، فجمع الجيوش وبعث بعض جنده لحصار تطاوين، وبعضهم لقبض الأعشار، وبعث وزيره حمو بن عمرو مع المرربع لأرجين موضع من جبال الزبيب، فغدر المربيع بالوزير وقتلها اعتماداً على كلام سمعه من عبد الله فغضب عبد الله وأسرها في نفسه ثم في يوم الاثنين ثالث ربيع النبوى سنة ثمان وعشرين وألف قتل المربيع اللطبي ونهبت ذاره.

وقال في «نشر المثاني» قتله عبد الله بن الشيخ، وعلقه على البرج الجديد خارج باب السبع، ثم أنزله ولعبت عليه خيله، ثم بعد أيام وظف عبد الله على اللطميين ثمانين ألفاً فشق عليهم أمرها فهربوا في كل وجه فأسقط عنهم نصفها، والله تعالى أعلم.

ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة⁽¹⁾ على أخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع في ذلك

قال في «شرح زهرة الشماريخ»: لما رأى أهل بلاد الهبط ما وقع من افتراق الكلمة وتوقد الفتنة بابيعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، وكان الذي قام بدعوته الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن الإدريسي المحمدي اليونسي المعروف بابن ريسون، وهي أم جده علي نزيل تاصروت وبابيعوه على الكتاب والسنّة وعلى إحياء الحق وإماتة الباطل فلما بلغ خبره أخاه عبد الله خرج لقتاله، فالتقى الجماعان بوادي الطين واقتتلوا فانهزم عبد الله وتقدم محمد إلى فاس فدخلها واستولى عليها في شعبان سنة ثمان وعشرين ألف، وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم واستصفى أموالهم.

وفي آخر شعبان المذكور وقعت الحرب بينهما بمكناسة فانهزم محمد ودخل عبد الله فاساً في مهل رمضان من السنة وأظهر العفو عن الخاص والعاص، ثم قتل أهل فاس قائده ابن شعيب وأخذوا حذرهم من عبد الله ثم وقع قتال بين أهل الطالعة وأهل فاس الجديد ودام أياماً عديدة حتى اصطلحوا لتساحر رجب من سنة تسعة وعشرين ألف، ثم إن عبد الله خرج لقتال أخيه محمد فوسمت المعركة بينهما بوادي بهت فانهزم محمد وفر شريداً إلى أن قتله ابن عمه كما سبأته إن شاء الله.

وفي يوم الجمعة الخامس ذي القعدة من سنة التسعين وثلاثين وألف قتل الفقيه العالم القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم بعد أن نزل من صلاة الجمعة

(1) في النص المطبع بفاس ل LH زهرة العادي ابن عودة وهو قريب التصحيح بزغودة فليحرر أهد وقد ورد وصف ابن عودة بهذا اللفظ في تقدير خططي في تاريخ الدولة السعودية مشروب لسيدي عبد الرحمن بن عبد القادر القاسي فظهور أن زغودة مجرد تصحيف.

بفاس الجديد فقتله اللصوص بباب المدرسة العنانية، وفي «نشر المثاني» قتله اللمعطيون بالزرقطنة لأنهم اتهموه بالميل إلى عبد الله بن الشيخ فوقع بسبب قتله شر عظيم بين أهل العدوتين من فاس.

ولم يزل عبد الله في معالجة أهل فاس فتارة يميلون إليه وتارة ينحرفون عنه لفساد سيرته وقبح طويته حتى كان قائده مامي العلح ينهب الدور جهاراً ويعطي عبد الله كل يوم على ذلك عشرة آلاف مما ينهب من الناس من غير جريمة ولا ذنب.

وقام عليه بمكناسة أيضاً رجل يقال له الشريف أمغار وقام عليه بتطاولين المقدم أبو العباس أحمد النقسيين ولم يبق في يده إلا فاس الجديد وأما فاس القديم فتارة وتارة كما ذكرنا آنفاً لأنه استولى عليها الشريف أبو الريبع والفقير المربيع ولما قتلا كما ذكرناه آنفاً قام بفاس محمد بن سليمان اللمعطي المدعو الأقرع وعلى بن عبد الرحمن فقتل ابن سليمان.

وقام أحمد بن الأشهب مع ابن عبد الرحمن المذكور فوقعت فتن وحروب ثم قام الحاج على سوسان وابن يعلى وتولى أيضاً يزروه ومسعود ابن عبد الله وغيرهم من الثوار.

وكانت فاس أيام هؤلاء على فرق وشيع لا يأمن التاجر على نفسه إلا إن استجبار بأحد من هؤلاء ووقع من الفتنة ما أظلم به جو فاس وتنتن أفقها العاطر الأنفاس، وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس تضمحل ويغفو رسمها.

وحدث غير واحد من الثقات أنه لما دامت الحرب بين أهل العدوتين ولم يكن لأهل الأندلس غلبة على اللمعطيين قال الشيخ أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الفاسي: لا يغلب أحد اللمعطيين ما داموا مواظبين على قراءة الحزب الكبير للإمام الشاذلي رضي الله عنه، وكانت طائفة من اللمعطيين يقرؤونه كل صباح بزاوية سيدي رضوان الجنوي من عدوة اللمعطيين فسمع ذلك أهل عدوة الأندلس فاحتالوا على إبطال قراءة ذلك الحزب بأن بعثوا

أحداً فاحتال على أولئك الذين يقرؤونه فاستضافهم فباتوا عنده جمِيعاً في منزله فلما طلع الفجر أو كاد زعم أن مفتاح الدار قد سقط منه وتلف ولم يزل يعني فتحها إلى أن طلعت الشمس فخرجوا، ولم يقرأوا العزب ذلك اليوم، وأخبر أهل الأندلس بذلك فحملوا على أهل عدوة اللطميين فهزموهم وتحكموا فيهم مع أنهم كانوا لم يجدوا إليهم سبيلاً قبل ذلك ببركة حزب الشاذلي رضي الله عنه.

وذكر بعضهم أن سبب هذه الفترة: ما حكى أن عبد الله بن الشيخ عزم على التنكيل بأهل فاس في بعض غلباته عليهم أيام خروجهم عليه، فاستشعروا إليه بالصالحين المجنوبين: سيدني جلوس بن الحاج، وسيدي مسعود الشراط، وكان من الملامة؛ فلما وقعا بين يديه قال: «أما وجد أهل فاس شيئاً غير هؤلاء الخرائين في ثيابهما؟» فغضب سيدني جلوس. وقال: «والله لا تصرف فيها - يعني فاساً - أحد أربعين سنة»، وانصرفاً، فيقال: إن عبد الله بن الشيخ انقلب معدته فخرج غائطاً من فمه أياماً إلى أن أتى بالشيفين فاسترضاهما، فكان أمر فاس كما قال سيدني جلوس لم يطأطئ رؤوس أعيانها سلطاناً إلى أن جاء الله بالمولى الرشيد بن الشريف السجلمامسي رحمة الله كما سيأتي، وإنما كان يتصرف فيها رؤساء أهل فاس الذين يسمونهم السباب، قال البيفري: «وهذه حكاية صحيحة سمعتها من غير واحد يفاس» ملخصها ما ذكرنا.

ولم يزل عبد الله في محاربة أهل فاس القديم من ستة عشرين وألف إلى أن توفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنين وثلاثين وألف بسبب مرض اعتراه من إسرافه في الخمر وإدمانه عليه وكان لا يفارقه ليلًا ولا نهاراً ويتعاطاه سراً وجهاراً.

قال في شرح «زهرة الشماريخ»: «ولما توفي عبد الله ولد بعده أخوه عبد الملك في شعبان سنة اثنين وثلاثين وألف ولم يزل مقتضاً على ما كان قد صفا لأخيه إلى أن توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين وألف».

ومن آثار عبد الله بن الشيخ: القبة التي على الخصبة الكائنة أسفل المنارة التي بوسط صحن جامع القرويين: فإنه لم يكن في القديم إلا الخصبة المقابلة لها شرقى الجامع المذكور.

- غريبة -

قال اليفرنى: حدثنى شيخنا الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد قال: «كان شيخ شيوخنا الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ميار يقول: إن أحمد ابن الأشہب الذي تقدم ذكره قبل في الثوار أخبر به النبي ﷺ قال: والحديث بذلك مذكور في كتاب الجامع الكبير للحافظ جلال الدين السيوطي رحمة الله» اهـ وقتل ولد ابن الأشہب رابع جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وألف فتك به علي بن سعد في جامع القرويين وهو في صلاة العصر، وقامت بسبب ذلك حرب بين أهل الأندلس واللمطين، وانتهت السلع التي بسوق القيسارية وسوق العطارين وبنى الل茅طيون الدرب الذي بباب العطارين واستمرت الحرب نحو ثمانية أيام ثم اصطلحوا.

ثورة أبي زكريا بن عبد المنعم بالسوس و مقابلته لأبي حسون السعالي المعروف بأبي دميحة على تارودانت

كان الفقيه أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاجي لما رجع من مراكش إلى السوس حسبما مر بدار له في طلب الملك وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وبلاده.

وكان المرابط أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الولي الصالح أبي العباس أحمد بن موسى السعالي ويقال له أيضاً: أبو حسون قد ظهر بالصفع السوسي عند فشل ربع السلطان زيدان به واستولى على تارودانت وأعمالها.

فلما ثار الفقيه أبو زكريا سار إلى تارودانت فتغلب عليها وملكتها من بد أبي حسون المذكور وبعد أن وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة، وكان

القاضي بتارودانت يومئذ الفقيه العالم أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني، وكان أبو زكريا قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافقه على ذلك ولم يساعدته على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب، فغضب عليه الفقيه أبو زكريا حتى أمر بقتله غيلة فيما قيل، فخرج القاضي من المدينة خائفاً يتربّ، وذهب إلى مراكش فاستقر بها وعصمه الله منه وكتب إلى أبي زكريا بر رسالة يعظه فيها وينهيه عن الخروج على السلطان ونصها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ :

يقول الفقير الشديد الحاجة إلى رحمة مولاه الغني به عمن سواه، السائل منه التوفيق واللطف في ظعنده و Mayer، كاتبه عيسى بن عبد الرحمن السكتاني عفا الله عنه وسمح له: الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة الأنبياء، وأورثه بعدهم من خلقه فريق العلماء، والصلوة والسلام على من أكمل أمر الصلح وقال: «الدين النصيحة» فقيل: لمن يا رسول الله، فقال: «الله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجو من المنهاج طريقه، وعن التابعين وتتابع التابعين لهم إلى وقوع الفcasas بين الخليقة، وبعد، فإني لما قفلت بحمد الله بسلامة وعافية إلى جبلي وجدت أهلي وأولادي، مستوحشين من البدية وإن كانت محل سلفي ومقر تلاميذه، بعد أن ألفوا الحواضر وطبعوا على طباعها فكانوا أحق بها، وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حل بالأولاد فتذكرت قول بعض فقهاء الأندلس من نابه مثل ما نابني وأصحابه مثل ما أصحابني:

أَلِيسْ مِنْ الْقَبِيبِ مَقَامُ مُثْلِي بَدَارُ الْخَسْفِ مِنْ كَسْفِ الْجَمَالِ
 أَخْالَطُ أَهْلَ سَائِمَةَ وَسَرَحَ وَأَرْتَعَ بَيْنَ رَاعِيَةَ الْجَمَالِ
 فَأَجَلَتْ فَكْرِيَ، وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ يَقْدِرُ اللَّهَ إِرَادَتَهُ، فَرَأَيْتَ أَنْ ذَلِكَ، وَفِي
 الْقَضَاءِ لَطْفٌ، أَمْ أَنْتَجَهُ، كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ، مَا حَلَّ بِالْمَغْرِبِ مِنْ

افترق الكلمة، وتلاعب شياطين الإنس والجن بذوي العقول منهم فصاروا أحزاباً وفرقأ، فاتبعت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد، حتى إذا عرض لعاقل أو عرض عليه منهم الإقلال بأدله الشياطين فسدوا عليه بابه، وأروه باغوانهم وزينوا له أن ذلك يشتهي لدى العامة ويوجب له السقوط من أعين الناس ، مع أنه لا يعلمه من السقوط إلا **﴿الْوَسَائِلُ الْخَتَّارُ﴾** **﴿أَلَّا يُؤْمِنُ شُدُورُ النَّاسِ﴾** **﴿مِنَ الْجَحَّةِ وَالنَّكَارِ﴾** [الناس: ٤ - ٦] وأين يغيب عن الموفق أن السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى، وأين غاب عنه أن العبرة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا بكلام الهميج الرعاع من لا يزال الشيطان يلعب به آخذنا بزمامه ساكناً على قلبه ولسانه ، وأين يغيب عنه من كتاب الله: **﴿فَإِنَّمَا مَنْ طَغَىٰ وَإِنَّ لِلَّهِ أَلَّا يُؤْمِنُ بِهِ الظَّالِمُونَ﴾** **﴿وَلَمَّا مَنَ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ أَنَفُسَ عَنِ الْمَوَىٰ﴾** **﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾** [النازعات: ٣٧ - ٤١] فقلت: إنما الله وإنما إليه راجعون هذه مصيبة عظيمة نزلت بمغاربنا فافتراق ملأهم وقتل سرواتهم وانتهت أموالهم وهتك حرهم ومزقت أعراضهم وفسدت أديانهم واختلت وبدت عن التوفيق آراؤهم وكادت تطمع بل طمعت فيهم أعداؤهم اللهم ياذا الطول والامتنان يا حنان يا منان يا إذا الجلال والإكرام تداركتنا بالطافك الخفية في ديننا ودنيانا يا خالق الأرض والسماء .

فإن قلت: ما ذكرته من أن خروجك من الحواضر إلى البوادي هو نتيجة افتراق الكلمة كما فعله من يقتدي به من الصحابة رضي الله عنهم فبدي صحيح، وما دليلك على التلاعب؟ قلت: ما خرجه أئمة الصلاح من منع الخروج على الأئمة وأن الواجب في حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب إذ غائلة الجور، وإن تفاحش ، أقل بكثير من غائلة الخروج الذي يترب عليه فساد المهج والأموال والأعراض والأديان وهتك الحرم ، ولهذا صبر على الحجاج من علماء الصحابة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سالمي الأديان، وبعبادته مغتنمي الزمان، وتذكر ، فما بالعهد من قدم، بالمرابط أبي محلبي كان في قطره عالي الصيت يقصد ويتبرك به ويعتقد فيه أنه قطب زمانه ، وبلغ به الحال إلى أن سولت له نفسه أو سول لها أنه يصلح به

ما لم يصلح بغيره من أهل الزمان فقام وأعانه عليه قوم آخرون حتى ملا الدنيا
صياحاً ودعواه وعيطاً وأكاذيب لا يشهد لها عقل ولا نقل فتمرد على
المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده، فقتل ونهب وسب واغتاب وحمل
نفسه ما لا تطيقه فاستههته شياطين الإنس والجن والنفس والهوى، ثم بعد
ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل وأفته الغفلة عن الكتاب والسنة
والرضا عن النفس حتى أنه حكمها فصارت تلعب به إلى أن فاء وادعى
بدعوى استبيح بها ما كان معصوماً من دمه، وهلكت بسببه بعده نفوس
وأموال وغير ذلك، أيشك من ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة إن
فعله ذلك مما حمله عليه من تجب مخالفته من الشيطان والنفس والهوى؟
وربما استحسن فعله ذلك من شيعته من ابنتي به أو قلده تقليداً ردياً في فعله
«فإن توليت فإنما عليك إثم الآسيين» وإلى الآن كانوا يستصوبون فعله
ويستحسنون قوله مع أنه بمعزل عن الكتاب والسنة.

فإن قلت: وهذه طائفة الفقراء ما بين متخصص متحزب ومتخيل متصيد
ومتسور على ما استثير به الباري من الغيوب مرتكب للأثام مصر على
العيوب، قلت: وهذه طائفة الفقراء فيها جل ما تقدم وزيدات تضيق عن
الإحاطة بها السطور والطروس قد بددتها، والعياذ بالله، الفتنة وشردتها ما
تخوفته من المحن، بانت العلوم وأضمرحت الفهوم وتعطلت الرسوم فلا
منطوق يذكر ولا مفهوم.

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود

قلت: وهذا الشيخ أبو زكريا، وهو الذي يساق إلى نصحه الحديث،
كنا نستقي به ونستشفى، وكانت تشد إليه الرحال ولا يألف من إيتائه النساء
والرجال، قد أنته من أقطار مغربنا الوفود، ودانت له الذئاب والأسود وكان
يعلم الجهال ويهدي الضلال، ويطعم الجائع ويكسو العريان، ويعين ذا
الحاجة وينحيث التهوان، وهي سبيل يا لها من سبيل، وطريقة ما أحسنها من
طريقة، ثم صارت تلك الجموع، وكان أمر الله قدرأً مقدوراً، أيدي سبا.

وتلاشت شذر مدر ما لها من نبا.

أيها الشيخ أكرمك الله بتسديده، أو تجد في الوجود ملكاً أعظم من ذلك الملك فتطلبه، أو سلطاناً يوازيه أو يقاربه فتحاوله، أين خفي عليك الشيء وهو ضروري؟ أم أين ضلت عنك النصوص من الكتاب والسنة وأنت متقولي معقولي؟ ﴿أَتَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ مَاءَمُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ إِنَّمَا أَنْتُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الحديد: ١٦] ﴿لَقَاتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَفَسَكُمْ﴾ [غافر: ١٥] وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل : اتق الله فيقول : عليك نفسك، وهو طرف من حديث خurge النسائي : وقد عظتك وذكرتك إن نفعت الذكرى . قال جل من قائل ﴿وَذَكْرُ فَلَانَ الْكَرْبَلَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات ٥٥].

فقلت من التعجب ليت شعري **الإيقاظ أمية أم نيا**

فإن قال شيطان من شياطين الإنس أو الجن : هذا ما أريد به وجه الله ، قلت : الله الموعد ، إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وإن خطر هذا وهجس بقلب الشيخ أكرم الله والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، قلت : أدل دليل على أنني قصدت محض النصيحة . هو أنه استنصرني على دفاع أبي محلبي فنصرته وقلت له : إن هذا لا تستقيم معه الديانة فكانه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول : استخر لي الله فكتابته بأن لا يفعل ، ثم لما نزل وكان على باب الغزو من تارودانت خلوت به فقلت له إذ ذاك : إن الناس يقولون كذا وكذا وعرفته إذ ذاك بما عرفته من أبناء الزمان ، فجمعنا في رملة إلى الآن أتخيل حرها ، وتبرأ من كل ما يقال ، وما زلت على المنع إلى أن جاءت كراريس من قبل أبي محلبي فتأملتها فوجدتها مشتملة على كفريات في جزئيات ، ففيحتذ شرح الله صدري لإباحة دفاعه .

ثم وإن قلت ذلك ، فنفسى أمره ولا أقول في نفسي ما كان يقوله سحنون في قضية ابن أبي الجواد : «مالى وله الشرع قتلها» ولو قلت أو غششت لغضشت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله أولاً لأن ذلك هو مقتضى التعصب للأمير فإذا لم أتعصب إذ ذاك فكيف أستسهله الآن ، فتعين

أني نصحت لكم أن قبلتم، ولا فكما قال تعالى عن النبي من أنبيائه: ﴿وَلِكُنْ لَا يُجُونُ أَتَقْبِيَّةَ﴾ [الأعراف: ٧٩] أنسدك الله الذي بإذنه تقوم السماوات والأرض أما قلت لك بعد رجوعي العام الأول من مراكش بل الذي قبله: إن العذر لا يحسن؟ وصرحت ولوحت بأن شق العصا لا يحل غير مرة؟ وما كفاني القول الدال على ذلك إلى أن زدت الفعل بالخروج من مدينة لا يبغضها كما قال:

فواه ما فارقتها عن قلبي لها وإنى بشططي جانبها لعارف

ورضيت بالبادية، مع جفائها، فراراً من الفتنة، وعملاً بقوله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال الرجل غنماً يتبع به سعف الجبال ومواقع القطر يفر بيديه من الفتنة» ثم بعد، فعلى هذا كله، نصحت فلم أفلح وخانوا فأفلحوا، وعدوا علي من القبائح طاعتي للأئمة مع أنك يوم جاء إلى دارك قلت لهم: «هذا أميركم»، ونحن لا نشك أنك من المعتبرين في مغربنا وأن يعتنك لأحد لازمة لنا، وكذلك حين ذهبت إلى مراكش في وقعة أبي محلوي قد أراد أهل مراكش فأبى، وأبحثت البلاد لخدم الأمير وقلت لهم: إنه الأمير. وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ونصروه بمرأى منه وسمع، افتشك بعد أن كان منك هذا أنك مبايع وأنت قدوة؟ وإذا كان هذا فأي حجة لك على الأمير ولا على المأموريين؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك إذ هو مسلم وابن مسلمين.

فإن قلت: موافقتي مشروطة بشرط لم يوف لي بها، قلت: هب أنه لم يوف لك أفتستبيح قتاله لأجل ذلك؟ والرسول ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» الحديث. فبالتالي أيها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وأنظاره؟ وما تقول فيما انتهب أو عسى أن ينتهب من أموال الناس وأخذ بغير حق وأنفق في سبيل الطاغوت والرسول ﷺ يقول: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس»؟ أو ما تستحيي من ربك يوم تسأل عن التغیر والقطمير، ولست منمن خفي عليه ذلك كله فتعذر عند

المخلوقين؟ أو ما علمت أن كثيراً من العوام يعتقد جواز ذلك إذ رأك ارتكبته ف تكون قد سنت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس؟ أو ما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب؟ أو ما كنت تغير من يرتكب مثل ذلك من الولاة وتتأسف عليه؟ «لا تغير أخاك المؤمن» الحديث.

لَا تَنْهِ عنْ خَلْقٍ وَنَأَيْ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمَ

أما انتبهت لما وقع لأهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الأحرار وهتك الحرم؟ «إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام» الحديث. وقد أثارنا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكتانه ذلك ولم يستطع إذ ذاك من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزر نظراً إلى ما آلت إليه الحال في أهل درعة مع أن جلهم حملة القرآن وعامتهم به «وأكثرون أهل الجنة البلة». أفيlicable بحق الصالحة أن يسلط عليهم من لا يرحمهم؟ «ولا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي» «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» «من لا يرحم لا يرحم» «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» أو نسيت أنه يقتضى للجماع من القرناء؟ وأن الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض؟ أفي علمك أن حسنانك تفي بما عليك من التبعات؟ أو أنه لا تباعة لأحد عليك؟ ولو كنت بذرية لاحتمل أن يقال في شأنك: ما قاله عليه السلام لعمر: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟» أو كما قال عليه السلام، «والظلم ظلمات يوم القيمة» أو تستطيع أن تقتتحم ظلمات الصراط وأنت مسؤول عن القبراط؟ وحتى أهل تارودانت بلغنا أنه لم يغن في شأنهم التروع بل بلغ بهم الحال والجور إلى التقرير، فاتق الله أيها الشيخ ولا تكون كمن إذا قيل له: «اتق الله أخذته العزة بالإثم» هذا ما يتعلّق ببعض حقوق الناس على العموم ويتعلّق بحق كاتبه على الخصوص، إنك أخذت عليه أن يؤدي الطاعة للأمير ويرعى ما هو من شيء المؤمنين من حسن العهد والتبرير من الغدر وشق العصا بعد أن بذلك وسعه في نصحك ونصح الأمير، وحاول بكليته على جمع الكلمة وتعب في ذلك

واقتصر في عقبات لا يقطعها إلا بازل، ولا سبيل إليها لمن يكون في دينه
وعمله مثلٍ من هو نازل:

لِعُمْرِ أَبِيكَ مَا نَسَبَ الْمَعْلُى
إِلَى كَرْمِ وَفِي الدِّنِيَا كَرِيمٌ
وَلَكُنَ الْبَلَادُ إِذَا اقْشَعَرَتْ
وَصَوْحَ نَبْتَهَا رَعَى الْهَشَبِيمْ.
إِذَا غَابَ مَلَاحُ السَّفِينَةِ فَارْتَمَتْ
بِهَا الرِّيحُ هَوْجًا دَبَرَتْهَا الضَّفَادُعَ

ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح كما أنه ليس من شرط تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير، لأن هذه طاعة وتلك أخرى، والتوفيق بيد الله سبحانه، نعم بلغني مع ذلك وجزم لي به أنك مع بذلك النصح لك وللأمير أصلح الله الجميع وأصلح ذات بينهم أخذت علي بالرصد في قولي لصيتي والرجوع إليهم رعاية لما يجب ويندب من حقوقهم، وهل هذا إلا حكم الهوى والشيطان، أعتقد ما تستوي به ذلك؟ مع أنني والحمد لله أينما كنت لا أسعى إلا في مصلحة جهد الاستطاعة أو بث نصيحة حين لا أرى من يبئها، أو إغاثة ملهوف حين تجب إغاثتها، **﴿لَيْلَةً بَسَطَتْ إِلَى يَدَكَ لِتَقْتَلُكَ﴾** [المائدة: ٢٨] الآية ولكن الله عز وجل يقول: **﴿وَلَا يَحِيقُ الْكُرْتَرُّ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: ٤٣] وفي التوراة: «من حفر حفرة فليوسعها، ولا تحفرن بثراً تزيد بها أخاً» فأين وجدت ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا قولًا أو فعلًا أو إشارة أو تصريحًا أو تلویحًا؟ وأي جريمة توازي هذه الجريمة؟ أو كبيرة من الآثام أكبر منها؟ والله الموعود، **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَتَقَلَّبُونَ﴾** [الشعراء: ٢٢٧] هذا، والسعادة المصحوبة بسؤالي عن دفاع مكتانه أين تجدون ما يوجب إياحتها؟ أين غاب عنكم إنها من الكبائر؟ وain غاب عنكم قوله **﴿إِنَّ النَّجَلَ لِيَتَكَلَّمَ بِكَلْمَةِ يَهُوِيَ بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾** أهذا من أخلاق المؤمنين والصالحين؟ وأنت من بيت الصلاح، ما كان جلدك يرضي مثل هذا و**﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا﴾** [مريم: ١٢٨] وهذا والله أعلم نتيجة قرناء السوء، ولا تصبح من لا ينهضك حاله، ولا يذلك على الله مقاله، وإلى هذا ينتهي حق الصحة أعني بذلك النصح، إن الله يسأل عن صحبة معاشر

ونحن صحبتك واعتقدناك ونصحبك ووعظناك «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فنصرناك بالرد إلى الجادة، أين أنت من مولانا الحسن بن علي إذ تخلى عن الأمر لابن عمه معاوية مع أنه هاشمي علوي فاطمي إحدى ريحاناتي النبي ﷺ ومعاوية أموي يجمعهما عبد مناف؟ فتخلى عن الإمارة مع أنه إمام وابن إمام وأصلاح الله به، وهو سيد، بين فتتین عظيمتين من المسلمين، بعد أن كان يلقب بأمير المؤمنين، فقال له بعض أصحابه إذ سلم عليه: «يا عار المؤمنين» فلم يكرر بذلك وقال: «النار أشد من العار» ألهمنا الله وإياكم رشد أنفسنا وجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه: انتهى.

ولم يزل الفقيه أبو زكرياء مصمماً على طلب جمع الكلمة إلى أن احترمه المنية: قال صاحب الفوائد ما صورته: قام الشيخ أبو زكرياء بجمع الكلمة والنظر في مصالح الأمة واستمر به علاج ذلك إلى أن توفي ولم يتم له أمر انتهى، وكانت وفاته ليلة الخميس السادس جمادى الثانية من سنة خمس وثلاثين ألف بقصبة تارودانت وحمل من الغد إلى رباط والده فدفن بجنبه رحمة الله.

بقية أخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله^(١)

قد ذكر المؤرخ لويس البرتغالي في كتابه الموضوع في أخبار الجديدة شيئاً من أخبار السلطان زيدان رحمه الله فقال: «كان السلطان زيدان صاحب مراكش مسالماً لنا كافياً عن حربينا وكانت القبائل تفتات عليه في غزونا فكانت غاراتهم لا تنتهي علينا، وكان هو أيضاً معهم في شدة ومكابدة من أجل اعوجاجهم عليه» ثم ذكر أن من جملة من غزاهم في دولته السيد سعيد الدكالي قلت: وأظنه والد السيد إسماعيل صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة، قال: فنهض سعيد بحال وغيره وامتعاض للإسلام وسار إلى الجبل الأخضر وغيره فجمع الجموع نحو اثنين عشر ألفاً وزحف بهم إلى الجديدة، ووافقه على ذلك قائد آزمور وبعض أشياخ الشاوية، وكانوا في نحو مائتين وخمسين من الخيول، وارتاع النصارى منهم وخافوا خوفاً شديداً، وأمرهم قائدتهم بالجذ في حراسة الأسوار والأنقاب، وأن يسدوا باب الجديدة ولا يفتحوا منه إلا خوفته، وحاصرهم المسلمون ثلاثة ثم قضى الله بوفاة السيد سعيد فافتراق ذلك الجمع. قال لويس: «مات أسفًا على ما فاته من الفتك بالنصارى كما يحب».

وفي سنة أربع وثلاثين وألف خرج السلطان زيدان من مراكش وقصد ناحية آزمور ولما انتهى إلى الموضع المعروف بأم كرس من بلاد دكالة حمل إليه نصارى الجديدة هدية نفيسة، ثم قدم ثغر آزمور في نحو أربعين ألفاً من الخيول على ما زعم لويس ودخل البلد، وأخرج أهل آزمور عدة مدافع من البارود فرحاً به، ولما سمع نصارى الجديدة بذلك أخرجوا مدافعتهم أيضاً فرحاً بالسلطان وأدوا معه.

(١) قضية أخذ الأسبان لكتب زيدان شهيرة في كتب الإفرنج وتاريخهم فتراجع فيها ولا بد والكتب لا زالت محفوظة بخزانة الأسكندرية قرب مادريد وقد دعت الحكومة الأسبانية في وقتنا هذا وهو 1342 أحد الفرنسيين لجعل برنامج لها.

وفي سنة ست وثلاثين وألف ثار على السلطان زيدان الفقير إبراهيم كانت هكذا صياغة لويز، ولم أدر من هو، قال: وفي خامس عشر من دجنبر من السنة تواقف جيش الثائر المذكور مع جيش السلطان للحرب ببلاد دكالة، وكان جيش السلطان يومئذ ألفاً وخمسمائة فقط، وجعل على مقدمته ابنه عبد الملك، فانهزم إبراهيم وقتل، وقتل جماعة كبيرة من أصحابه وبطش على ولده فبعثه السلطان مع عدد وافر من رؤوس أصحابه إلى مراكش وأخرج نصارى الجديدة المدافعين أيضاً فرحاً بهذا الخبر، فبعث إليهم السلطان زيدان بفرس أحمر لقادتهم إكراماً له، وكتب إليهم بكتاب تاريخه سادس رمضان سنة ست وثلاثين وألف مكافأة لهم على أدبهم معه» انتهى كلام لويز وقال اليفريني رحمة الله: «كان السلطان زيدان من لدن مات أبوه المنصور ويوبع هو يفاس في محاربة مع إخوته وأبنائهم ومقاتلة مع القائمين عليه من التوار الذين تقدم ذكر بعضهم، ولم يخل قط في سنة من سني دولته من هزيمة عليه أو وقعة بأصحابه، ووقيعت بيته وبين إخوته معارك يشيب لها الوليد، وكان ذلك سبب خلاء المغرب، وخصوصاً مدينة مراكش، وما عد عن نحس زيدان واستدل به على فشل ريحه أنه في بعض الواقع بعث كاتبه عبد العزيز بن محمد التغلبي بعشرة قناطير من الذهب إلى صاحب القسطنطينية العظيم وطلب منه أن يمدء ببعض أجناده كما فعل مع عمه عبد الملك الغازي، فجهز له السلطان العثماني اثنى عشر ألفاً من جيش الترك وركبوا البحر فلما توسطوه غرقوا جميعاً ولم ينج منهم إلا غراب واحد فيه شرذمة قليلة».

وقال منويل: إن قراصين الإسبانيون غنمـت في بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان فيه أثاث نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك.

قال اليفريني: «وكان زيدان غير متوقف في الدماء ولا مبال بالعظام قلت: وهو مخالف لما ذكره زيدان في رسالته التي خطـب بها أبا زكرياء

المتقدمة من أنه ما سعى في قتل أحد إلا بفتوى أهل العلم والظن بزيدان أنه ما قال ذلك إلا عن صدق، وإنما فمن بعيد أن يفخر على خصميه ويدلي بشيء هو متصف بضده.

وكان زيدان فقيهاً مشاركاً متضللاً في العلوم. وله تفسير على القرآن العظيم اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري.

قال اليفرنى: «وكان كثير المراء والجدال كما وقع له مع الشيخ أبي العباس الصومعى، قلت: الذي وقع له مع الصومعى هو أنه لما ألف كتابه الموضوع في مناقب الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه وسماه «المعزى» بضم المع وفتح الزاي بصيغة اسم المفعول من الرباعي عارضه زيدان، وهو يومئذ بتأدلاً وإلياً عليها من قبل أبيه، بأنه لم يسمع الرباعي من هذه المادة وإنما قالت العرب: عزاه يعزوه ثلاثة، فأصر أبو العباس رحمه الله على رأيه إلى أن لطمه زيدان على وجهه بالتعل، فشكاه إلى المنصور فقال له: لو لطمك وهو المخطى: لعاقبته أما إذا كان الصواب معه فلا.

قلت: كان زيدان يومئذ في عنفوان الشبيهة فصدر منه ما صدر:

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن منظمة الجهل الشباب

ومع ذلك فما كان من حقه أن يفعل، وأظن أن انتكاس رايته سائر أيامه إنما هو أثر من آثار تلك اللطمة، فإن الله تعالى غيره على المتسبيين إلى جنابه العظيم، وإن كانوا مقصرين، فسأل الله سبحانه أن يجنبنا موارد الشقاء ويسلك بنا مسالك الرفق في القضاء، وللسلطان زيدان شعر لا يأس به منه قوله:

فتنتنا سوالف وخدود وعيون مدعاجات رقود

ووجوه تبارك الله فيها وشعور على المناكب سود

أهلكتنا الملاح وهي ظباء وخضعن لها ونحن أسود

وقوله:

مررت بقبر هامد وسط روضة عليه من النوار مثل النمارق

فقلت لمن هذا فقالوا بذلك ترجم عليه إنه قبر عاشق
وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبع وثلاثين ألف،
وُدفن بجنب قبر أبيه من قبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة
مراكش وما نقش على رخامة قبره قول القائل:

هذا ضريح من به	تفتخر السفاخر
حامى حمى الدين بك	مل ذايل وياتر
لا زال صوب رحمة الدا	ه علىه ماطر
أرخ وفاة من غدا	جاراً لرب غافر
زيدان سبط أحمد	مبتكراً المآثر
أجل من خاض الوعا	وللأعادي قاهر
ومن شذا رضوانه	نفعة كل عاطر
بمقعد الصدق علا	أبو المعالي الناصر

وزراروه: البشا محمود، ويحيى آجانا الوريكي وغيرهما، وكتابه:
عبد العزيز الفشتالي كاتب أبيه، وعبد العزيز بن محمد التغلبي وغيرهما،
وقضائه: أبو عبد الله الرجراجي وغيره، وترك عدة أولاد منهم: عبد الملك
والوليد ومحمد الشيعي، وهؤلاء ولوا الأمر بعده، وأحمد وغيرهم رحم الله
الجميع.

الخبر عن دولة السلطان أبي مروان

عبد الملك بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان زيدان رحمه الله في التاريخ المتقدم بويع بعده ابنه
عبد الملك، ولما تمت له البيعة ثار عليه أخوه الوليد وأحمد فوقع بيته
وبيئهما معارك وحروب إلى أن هزمهما واستولى على ما كان بيدهما من العدة
والذخيرة، وفر أحمد إلى بلاد الغرب فدخل حضرمة فاس يوم الجمعة
الخامس والعشرين من صفر بعد وفاة أبيه بستة وأربعين يوماً فاتسم بسمة

السلطان وضرب سكته، وفي ثالث عشر شوال من السنة عدا على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة فقتله غدرًا بالقصبة، ولما كان الحادي عشر من ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وألف أخذ أحمد المذكور وسجن بفاس الجديد على يد قاتلهم عبو وبها وبقي مسجوناً سبع سنين ثم خرج من السجن مستخفياً بين نساء في سبع رجب سنة أربع وأربعين وألف وأعلن العامة بنصره ولم يتم له أمر، ثم توفي قتيلاً في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وألف رمي برصاصة من بعض العامة فكان منها حتفه وذلك بفاس الجديد ولم يتم له أمر.

ظهور أبي عبد الله العياشي بسلا ومباهة أكابر عصره له على الجهاد والقيام بالحق

قد تقدم لنا انتقاض أندلس سلا على السلطان زيدان وقتلهم مولاهم عجيبة فبقيت سلا فوضى لا والي بها فكثر النهب وامتدت أيدي اللصوص إلى المال والحرير، وسيدي محمد العياشي ساكت لا يتكلّم وكثُرت الشكايات من التجار والمسافرين بمخافة السبيل وقطع الطرقات، فأهَرَعَ الناس إلى أبي عبد الله المذكور من كل جانب، وكثُرت وفوده، وأشرقت في الجو السلاوي أنواره، فشعر عن ساعده الجد وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما طاله الناس بالتقدم عليهم والنظر في مصالح المسلمين وأمور جهادهم مع عدوهم أمر أشياخ القبائل وأعيانها من عرب وبربر ورؤساء الأمسار أن يضعوا خطوطهم في ظهير بأنهم رضوه وقدموه على أنفسهم والتزموا طاعته، وأن أي قبيلة خرجت عن أمره كانوا معه يداً واحدة على مقاتلتها حتى تفيء إلى أمر الله، فأعطوا بذلك خطوطهم في ظهير، وأنهم رضوه وقدموه على أنفسهم، ووافق على ذلك قضاة الوقت وفقهاؤه من تامستنا إلى تازا.

وكان الحامل له على طلب ذلك منهم أنه بلغه عن بعض طلبة الوقت أنه قال لا يحل الجهاد إلا مع الأمير، ففعل ذلك خروجاً من تلك الدعوى الواهية، وإن فقد كتب له علماء الوقت كالإمام أبي محمد عبد الواحد بن عاشر، والإمام أبي إسحاق إبراهيم الكلالي بضم الكاف المعقودة، والإمام أبي عبد الله محمد العربي الفاسي وغيرهم بأن مقاتلة العدو الكافر لا تتوقف على وجود السلطان وإنما جماعة المسلمين تقوم مقامه^(١)، ولما كمل أمره وبايعه الناس على إعلاء كلمة الله ورد الظلم عن ضعفاء الأمة ضاق الأمر على عرب الغرب لاعتيادهم الفساد وعدم الوازع ومحبتهم الخلاف والفتنة، فنكث بيته جماعة منهم.

وكان من نكث الناصر بن الزبير في لمة من شرافة فقاتلهم أبو عبد الله حتى ظفر بهم ثم عفا عنهم، ونكرت أيضاً الطاغي بالتأهيل الطاء في لسانهم مع جموعه أولاد سجير فغلبهم وعوا عنهم، وكذلك عرب الحيائنة طعوا على أهل فاس وعاثوا خلال تلك البلاد بإغراء ولد السلطان زيدان، فقاتلهم أبو عبد الله فكانت الدبرة عليهم، وتاب على يده جماعة من رؤساء شرافة الذين كانوا مع الحيائنة، وكانت عاقبة كل من بغي عليه خسراً.

وكان أهل سلا قد لقوا من نصارى المعمورة مضرة وشدة، فلما اجتمعت الكلمة على أبي عبد الله العياشي ورد الله كيد من نكث في نحره كان أول ما بدأ به أنه تهياً للخروج إلى حلق المعمورة، واستعد لقتاله ومتازله من فيه من النصارى طمعاً في فتحه فيتفقى المسلمين بذلك، وكان المسلمون قد حاصروا قبيل ذلك فلم يقدروا منه على شيء وصعب عليهم أمره، وكان أبو عبد الله إذا أراد الله أن يظفره بغئية رأى في منامه أنه يسوق خنازير أو نحوها، ولما سار بج逐وعه إلى الحلق ونزل عليه رأى قطعتين من

(١) بل في مقدمات ابن رشد ما نصه: «ويجاهد العدو مع كل بر وفاجر وقد قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليؤيد هلا الدين بالرجل الفاجر)» اهـ فكيف بهذا الولي الكبير رضي الله عنه. اهـ من إملاء مؤلفه.

الخنازير معها عنوز، فكان من قضاء الله وصنعه أنه في صبيحة تلك الليلة قدمت أغربة من سفن النصارى بقصد الدخول إلى الحلق فضيق عليهم رماة المسلمين الذين بالخندق، فأرادوا أن ينحرفوا إلى البحر فردهم البحر إلى ساحل الرمل هنالك فتمكن المسلمين منهم وقتلوا وسبوا ووجدوا في الأغربة زهاء ثلاثة وأربعين أسير من المسلمين فأعترضهم الله، وأسر يومئذ من النصارى أكثر من ثلاثة وأربعين، وقتل منهم أكثر من مائتين، وظفر المسلمين بقيطان من عظمائهم فقدى به الرئيس طابق رئيس أهل الجزائر، وكان عندهم محبوساً في قفص من حديد.

واستقامت الأمور لأبي عبد الله العياشي بسلا وبني داره داخل باب المعلقة منها، وبني برجين على ساحل مرسى العدوتين من ناحية سلا، وهما المعروfan اليوم بالبساتين.

ثم كانت غزوة الحلق الكبرى وكان من خبرها أن جيش أهل فاس خرجوا بقصد الجهاد فنزلوا بموضع يعرف بعين السبع وكمروا فيه ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج النصارى إلى تلك الجهات على غرة فظفر بهم المسلمون، وكان النصارى لما خرج جيش أهل فاس أعلمهم بذلك مسلم عندهم مرتد فأعطوه سلعاً وجاء بها إلى سلا بقصد بيعها والتجسس لهم على الخبر فأخذ وقتل، وعميت عليهم الأباء إذ كانوا يتظرون من يرد عليهم فيخبرهم، ولما أبطأ عليهم خرجوا فلم يشعروا إلا بالخيل قد أحاطت بهم وقتل منهم نحو الستمائة، ولم ينج إلا القليل حتى لم يبت في الحلق تلك الليلة إلا نحو أربعين رجلاً منهم، وغنم المسلمون منهم أربعيناً من العدة، ولم يحضر أبو عبد الله العياشي في هذه الواقعة لأنه كان قد ذهب إلى طنجة حنقاً على يوم المسامير، لأن النصارى خذلهم الله كانوا قد صنعوا نوعاً من المسمار بثلاثة رؤوس تنزل على الأرض والرابع يبقى مرفوعاً، ويشوا ذلك في مجالات القتال مكيدة عظيمة تتضرر منها الفرسان والرجال، فلما رجع وأعلم بضعف من يقي بالحلق بعث إلى أهل الأندلس بسلا يصنعون له السالم كي يصعد بها إلى من يقي في الحلق فيستأصلهم، فتناقلوا عن صنعها غشاً

للإسلام ومناواة لأبي عبد الله، حتى جاء المدد لأهل الحلقة، وكانت تلك الرابطة بين أهل الأندلس والنصارى متواترة من لدن كانوا بأرضهم، فكانوا آنس بهم من أهل المغرب، فلما أتى أبو عبد الله بالسلام لم تغُنْ بعد شيئاً، ومن هنالك استحكمت البغضان بينه وبين أهل الأندلس، وكان أهل الأندلس قد أعلموا النصارى بأن محلة أبي عبد الله النازلة لمحاصرة الحلقة ليست لها إقامة فبلغ ذلك أبي عبد الله فأقام عليهم الحجة، وشاور العلماء في قتالهم فأفتقى أبو عبد الله العربي الفاسي وغيره بجواز مقاتلتهم، لأنهم حادوا الله ورسوله ووالوا الكفار ونصرحونهم، وأنهم تصرفوا في مال المسلمين ومنعوه من الراتب، وقطعوا البيع والشراء عن الناس، وخصوصاً به أنفسهم وصادقو النصارى وأمدوه بالطعام والسلاح، وكان سيدى عبد الواحد بن عasher لم يجب عن هذه القضية حتى رأى بيته حين قدم إلى سلا بقصد المرابطة، فرأى أهل الأندلس يحملون الطعام إلى النصارى، ويعلمونهم بعورة المسلمين، فأفتقى حينئذ بجواز مقاتلتهم فقاتلهم أبو عبد الله وحكم السيف في رقابهم أياماً إلى أن أخمد بدعهم، وجمع الكلمة بهم.

ولما وقعت غزوة الحلقة الكبرى قدمت الوفود على أبي عبد الله بقصد التهنة بما منحه الله من الظفر فحضر الناس على استئصال شافة من يقي بالحلق من النصارى، وعير العرب يترك الكفار في بلادهم، وكان من حضر من العرب جماعة من الخلط وبني مالك والتاغي والدخيسي وغيرهم، فقال لهم أبو عبد الله: «والله والله إله إن لم تأخذكم النصارى لتأخذنكم البربر» فقالوا: «يا سيدى كيف يكون هذا وأنت فيها؟» فقال لهم: «اسكتوا أنتم الذين تقطعون رأسي» فكان كذلك، وهذا من كراماته رضي الله عنه، ثم صرف عزمه إلى التضييق على نصارى العرائش وشن الغارات عليهم، فتقدم في جمع من المسلمين وكمن بالغابة نحواً من سبعة أيام فخرجوا على حين غفلة فمكث الله من رقابهم، وكان في مدة كمونه بالغابة أخذ حناشاً من عرب طليق يقال له ابن عبود، والحنثاش في لسان عامة أهل المغرب هو الجاسوس، فأراد أبو عبد الله قتله، فقال له: «اسبقني وأنا تائب إلى الله وأنا أفع المسلمون

إن شاء الله» فتركه فذهب إلى النصارى وكان موثقاً به عندهم حتى كانوا يؤدون إليه الراتب، فقال لهم: «إن أحياه العرب وحللها قد نزلوا بوادي العرائش فلو أغترتم عليهم لغنمتموهن» فخرجوها فمكث الله منهم وطحنتهم المسلمون في ساعة واحدة طحن الحصيد، ولم ينج منهم إلا الشريد، وكان ابن عبود قد يقي بأيديهم فأخذوه ومثلوا به ونزعوا أسنانه وأرادوا قتله لولا أنه رفعهم إلى شرعيهم، وكان عدد من قتل من النصارى نحو ألف وكانت هذه الواقعة سنة أربعين ألف.

بقية أخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته

قال اليفرني: كان عبد الملك بن زيدان فاسد السيرة مطموس البصيرة وبلغ من قلة ديانته أنه تزايد له مولود فأظهر أنه أراد أن يحتفل لسابعه فبعث إلى نساء أعيان مراكش ونساء خدامه أن يحضرن، وصعد هو إلى منارة في داره فنظر إلى النساء وهن منتشرات قد وضعن ثيابهن فأيتها نعججته بعث إليها وكان مدمناً على شرب الخمر إلى أن قتله العلوج بمراشاش وهو سكران يوم الأحد السادس عشر شعبان سنة أربعين ألف، ودفن إلى جنب قبر أبيه.

ويسط منويل خبر مقتله فقال: «الما ثار الوليد على أخيه عبد الملك وعادت الكرة عليه بقي متنقلًا في البلاد ثم رغب إلى أخيه حتى رده إلى مراكش، فأخذ الوليد يستميل رؤساء الدولة ووجوهاً وتجارها ويعدهم بالإحسان حتى وافقوه على الفتنه بأخيه فترصدواه حتى غفل البوابون ودخلوا عليه قبته وهو متكم على طفسة فرموه برصاصه وتناولوه بالخناجر المسماة عند المغاربة بالكميات، وقامت الهيبة بالمشور والقصبة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجندي فأخرج جنازة أخيه إلى المشور حتى شاهده الناس ميتاً فسكنوا وانقطع أملهم وبايعوه» انتهى قال اليفرني: وما رأيته منقوشاً على رخامة قبره هذان البيتان:

لَا تَقْنُطْنَ فِإِنَّ اللَّهَ مُتَشَانٌ
وَعَنْهُ لَلَّهُرَى عَفْ وَغَفْرَانٌ
إِنْ كَانَ عِنْدَكَ إِهْمَالٌ وَمَعْصِيَةٌ
فَعِنْدَ رَبِّكَ أَفْضَالٌ وَإِحْسَانٌ
وَمِنْ وَزَارَهُ: مُحَمَّدٌ بَاشَا الْعَلْجَ وَيَحْيَى أَجَانَا الْوَرِيكِيُّ وَجَوْذَرُ
وَغَيْرُهُمْ. وَقَاضِيهُ: الْفَقِيْهُ أَبُو مَهْدِي عَبْيُسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّكَتَانِيُّ قَاضِي
مَرَاكِشَ. وَمَفْتِيهُ: أَبُو العَبَاسِ أَحْمَدَ السَّمَلَالِيُّ رَحْمَ اللَّهِ الْجَمِيعُ.

الخبر عن دولة السلطان أبي يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله

لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان في التاريخ المتقدم بوبع أخيه الوليد بن زيدان فلم يزل مقتبراً على ما كان لأخيه وأبيه من قبله لم يجاوز سلطانه مراكش وأعمالها، وعظمت الفتنة بفاس حتى عطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين مدة، ولم يصل به ليلة القدر إلا رجل واحد من شدة الهول والحروب التي كانت بين أهل المدينة.

وافتتح المغرب في أيام أولاد زيدان طوائف فكان حاله كحال الأندلس أيام طوائفها كما ذكرنا وذكر بعد إن شاء الله.

ظهور أبي حسون السملالي المعروف بأبي دميحة بالسوس ثم استيلاؤه على درعة وسجلماسة وأعمالها

هذا الرجل هو أبو الحسن، ويقال: أبو حسون علي بن محمد بن محمد بن الولي الصالح أبي العباس أحمد بن موسى السملالي، وكان به أمره أنه لما ضعف أمر السلطان زيدان بالصقع السوسي وفشل ريحه فيه نبغ هو فدعا لنفسه وجر نار الرياسة إلى قرمه، وتآلبت عليه البراءة من بسائط جزولة وجبارتها، والتفت عليه غالب القبائل السوسية فاستولى على تارودانت وأعمالها إلى أن أخرجه عنها الفقيه أبو زكرياء بن عبد المنعم بعد حروب

وفن عظيمة حسبما مررت الإشارة إليه.^(١)

ولما توفي أبو زكرياء في التاريخ المتقدم صفا لأبي حسون قظر السوس ونقد فيه أمره وسمعت كلامته، ثم بعد مهلك زيدان مدينه إلى درعة فاستولى عليها، ثم استولى على سجلماسة ونواحيها فاستحكم أمره وتقوى عضده.

ولم يزل أمره نافذًا في سجلماسة إلى أن ثار عليه الأسد الهمصوري المولى محمد بن الشريف فأخرج من سجلماسة بعد حروب يشيب لها الوليد، ثم أخرجه من درعة أيضًا على ما ذكره بعد، وقد وقفت على سؤال رفع من جانب أبي حسون إلى القاضي أبي مهدي السكتاني في شأن مدينة إيليق دار رياسته ومقر عزه يستفتيه في إحداث كنيسة اليهود بها هل يجوز أم لا وفيه مع ذلك بعض الكشف عن حال هذه المدينة فلنذكره ونصه:

«الحمد لله الذي ارضى للإسلام دينًا، وأنزل به على خيرة خلقه كتاباً مبيناً، الفقيه الأجل العلامة الأحقل القاضي الأعدل، خاتمة المحققين ومعتمد المؤتمنين، أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني وفقه الله لما يرضيه، وأعانه على ما هو متوليه، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد تقرر عند سيلنا أمر هذه الحضرة العلية العلوية إيليق أدام الله بهجتها، كما رفع كغيرها من الحواضر درجتها، وأنها محدثة فتوافت ببركة بانيها عمارتها ومبانيها، فاتخذها مسكنًا أهل السهول والحزون، وجمعت لطيب تربتها بين القصب والنون، فنزلها برسم الاستيطان أو شباب من أهل الذمة، بإذن مخطتها

(١) قال التماثري في الغوات: وفي ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وألف حاصر بغاة العرب والبرير مدينة السوس الأقصى تارودات وهي إذ ذاك تحت إمرة الأمير أبي الحسن الجزوئي فاستباحوها إلا قصبهما وحاصروها خمسة وعشرين يوماً وحفروا أسراياً تحت سورها فوجدوا قاعدة أساسها لا تزال الفتوس منه شيئاً لوثاقته فقتلوا وبلغ خبرهم الأمير المذكور فطوى إليهم المراحل من الصحراء ولما قارب بلاد السوس أفلعوا وهرموا عنها فورد في جيش عظيم من جزولة فأقام بها حتى أصلحها وشحنتها بالعدد والجيوش ولم يتمكن من البقاء لترافقهم في الجبال أهد الغرض منه وبظهر أن القطر السوسي صفا بعد هذا التاريخ لأبي حسون واستتب فيه أمره.

الإمام العالى الهمة، فاختطوا بها عن إذنه منازلهم وبنوا بفنائتها كنيستهم وصيروها متبعدهم، فانتفق، والحديث شجون، أن جرى بعض أندية علمائها، ومحضر جمع من نبهاء البلدة وفقهائها، كلام أفضى بهم إلى ذكر الكنيسة المذكورة، والمجادلة في محصل الحكم الشرعي فيها في الدواوين المسطورة، فأفتقى بعضهم بوجوب هدمها لأنها محدثة ببلاد الإسلام، ولما في تركها من المفاسد العظام، وأنها لا تترك لهم متبعداً وجذم الكلام، وقال: هذا محصل ما ذكره في مثل هذه القضية الأعلام، وأفتقى فريق بجواز إبقاءها، وأنه لا ينبغي تقويض بنائتها، ولا التعرض لهم في إحداثها، إذ على مثل هذا من دينهم الفاسد أقرروا وأعطوا الذمة فأعطوا الجزية صاغرين ولم يرد منع اجتماع دينين إلا في جزيرة العرب، وكم من بلد إسلامي محدث مشحون بالعلماء أحدثت فيه ولم يقولوا بمنعه وتواترهم على تركها كالنص والدليل على جواز إحداثها وإبقاءها بعده، واستمر الحجاج، وكثُر اللجاج، ولم يقنع كل فريق بما أبداه الآخر من الاختجاج، فعطلت لذلك إلى أن تفرقوا فيها بعلمكم النافع بين العذب والأجاج بفتوى تبين صحيح الأقوال من سقيمها، وتفصل بين ليلي وغريمهما، ولو لا محل النازلة من الدين ما رفعت إليكم، فلذلك وجب الجواب عنها عليكم، مع مسألة أخرى وهي: أنهم طلبوا أن تترك لهم بقعة يوارون فيها جيف موتاهم لأن مسافة ما بينهم وبين أفران التي هي مقبرة قديمة لهم بعيدة هل يسامعون أم لا، والله يبقيكم ومجدهم محروس، وظل من استنزلكم مكتوس. والسلام عليكم».

الجواب:

«الحمد لله وعلى فقهاء بلادنا السوسيية حرسها الله وأكرمهم باتباع سنة رسول الله ﷺ السلام ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فقد وقف كاتبه عفا الله عنه على نازلة أهل الذمة النازلين بإبلاغ مختلط أولاد السيد البركة قطب بلادنا سيدني أحمد بن موسى نفعنا الله ببركاته وبارك في ذريته وسددهم لما فيه رضاه آمين، ولما وقفت عليها وتأملتها فرأيت أن الصواب فيها الفتوى بمنع

إحداث أهل الذمة الكنائس فيها وبهدم ما يبني فيها بعد إحداثه لأن إيليق من بلاد الإسلام، ولا فيه شبهة لأهل الذمة الطارئ عليه لا باعتبار الفتح العنوي ولا باعتبار الصلحي على الخلاف في المغرب باعتبار فتحه، وحاصل أمرها خفاء الحال فيها وإذا كان الأمر هكذا فالحكم أنها ملك لمدعها الحائز لها، والأراضي أقسام: أرض إسلام لا يجوز إحداث الكنائس بها باتفاق، ثم إن وقع شيء من ذلك هدم، وأرض إيليق من هذا القسم فإن ملوك الأرض التي بنوا فيها الكنيسة بوجه من وجوه التملك كالعطية وجب هدمها ونقضها، ويكون لهم ما يسوغ من المنافع، وإن كان بناء الكنيسة شرطاً ردت العطية وفسخ البيع إن كان به لأنه في معنى التحبيس على الكنيسة، والحاصل أن وجه دخول اليهود إيليق معلوم، وأن بلده ملك للإسلام، فبناء الجواز والإفتاء به في النازلة فمغزل عن الصواب والاستدلال على الجواز بحواضر المغرب وسكتوت علماتها وموافقة أمرائها لا يتم، لأن أصل تمكينهم من الكنائس مجهول، إذ يحتمل أن يكون بعهد كان لهم في غير تلك البلاد من إقرارهم على بلد يسكنونه مع بقائهم على متبعاتهم، ثم نقلوا لمصلحة اقتضت ذلك، أو أرجح، ولأن البلاد تقدم فيها اليهود وغيرهم من أهل الصلح، والحاصل أن وجه دخولهم مجهول في هذه البلاد بخلاف إيليق، ونازلة إيليق معلومة الدخول فيبينهما بون فقيه إحداهما على الأخرى لا يصح وبأثره التوفيق وكتب عيسى بن عبد الرحمن وفقه الله أمين.

ولما علم المرابط بالحكم أمر بهدمها ومنع اليهود مما أرادوه.

بقية أخبار السلطان الوليد ابن زيدان ووفاته رحمه الله

قال في شرح الزهرة: كان الوليد بن زيدان متظاهراً بالديانة، لين الجانب حتى رضيته الخاصة والعامة، وكان مولعاً بالسماع لا يفك عنه ليلاً ولا نهاراً، إلا أنه كان يقتل الأشراف من إخوته وبني عمّه حتى أفنى أكثرهم، وكان مع ذلك محباً في العلماء مائلاً إليهم بكليته متواضعاً لهم، وله ألف القائد أبو الحسن علي بن الطيب منظومته المشهورة في الفواكه الصيفية والخريفية، وألف القاضي أبو مهدي السكتاني شرح صغرى الصغرى للسنوسى برسمه، والقصبة المعروفة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين آسفي وتيط هي منسوبة إليه وأظنها من بنائه^(١) والله أعلم.

وأما وفاته فسببها أن جنده من العلوج طالبوه بمرتبهم وأعطياتهم على العادة وقالوا له: «أعطينا ما نأكل» فقال لهم على طريق التهكم: «كلوا قسر النارنج بالمسرة» فغضبوا لذلك وكمن له أربعة منهم فقتلوه غدراً يوم الخميس الرابع عشر من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ألف.

وقال منويل: لما ولد الوليد قتل أخاه إسماعيل واثنين من أولاد أخيه عبد الملك وبسبعة من بني عمّه، ولم يترك إلا أخاه الشيخ بن زيدان استصغاراً له إذ كان سنه يومئذ إحدى عشرة سنة، وكانت أمه تخاف عليه من الوليد فكانت تحرسه منه حراسة شديدة، وألقى الله محبته في قلب سائر نساء القصر لما رأين من هلاك الأعياص وعرضة الملك للزوال، ولكن حازمات يقمن مقام الرجال حتى إن بعضهن كانت لها طينجات في حزامها دائماً تحرس الشيخ من أخيه الوليد.

ثم إن رؤساء الدولة سمووا ملكته فاتفقوا مع نساء القصر على قتله،

(١) قد جزم المؤرخ الفرنسي دو كاستري بأنها من بنائه وأن بناءها كان في سنة 1634 مسيحية وأن الوليد استعمل في تشيدها عدداً من أسرى النصارى أهـ.

وكان الوليد عازماً على قتل أخيه الشيخ أيضاً، فاحتال بأن صنع ذات ليلة صنيعاً عظيماً وطعاماً كثيراً دعا إليه وجوه الدولة وأعيان مراكش، وكان آخره الشيخ عنده في الدار لا يتركه يخرج بحال، وعزم أنه إذا اشتغل نساء القصر بأمر الطعام ونحوه خالف إليه وقتلها، فكان من قدر الله أن العلوج قد عزموا في تلك الليلة على اغتيال الوليد فكمروا له في الحجرة التي كان الشيخ محبوساً فيها، ثم لما جاء الوقت واجتمع الناس في القبة التي أعد لها لهم الوليد قام ودخل إلى الحجرة التي فيها الشيخ للفتك به فوجد الأعلام كامنين له هناك، فلما رأهم فزع، وقال: «ما لكم؟» فرموا بالرصاص ثم تناولوه بالخناجر حتى فاظ انتهى⁽¹⁾.

الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشقيق بن زيدان رحمة الله

لما قتل السلطان الوليد في التاريخ المتقدم اختلف الناس فيما يقدموه للولاية عليهم ثم أجمع رأيهم على مبادعة أخيه محمد الشيخ وإلقاء القيادة إليه فأخرجوه من السجن، وكان آخره الوليد قد سجنه إذ كان يتخوف منه الخروج عليه، فبوبع بمراكن يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين ألف. ولما بوبع سار في الناس سيرة حميدة وألان الجانب للكلافة، وكان متواضعاً في نفسه صفوحاً عن الهفوات متوقفاً عن سفك الدماء مائلاً إلى الراحة والدعاء متظاهراً بالخير ومحبة الصالحين، وهو الذي بنا على قبر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي بزاوته قبة حافلة البناء رائفة الصنعة، إلا أنه كان مكتوس الرأبة مهزوم الجيش، ويسبب ذلك لم يصف له مما كان يد أبيه وآخرته إلا مراكش وبعض أعمالها.

(1) راجع خبر هدية الوليد للحرم الشريف سنة 1042 في تاريخ مراكش ج 4 ص 275 للتعارجي المراكشي.

وقد ثار عليه رجل من هشتوكة خارج بباب الخميس من مراكش وفاسى في محاربته تعباً شديداً ولم يزل يناوشة القتال إلى أن كانت له عليه الكرة ففرق جمعه، ثم خرجت عليه أيضاً قبيلة الشياطنة فقصدهم، وكانت الملاقاة بينه وبينهم عند جبل الحديد، فانهزم هزيمة شنعاء. ثم حدث بينه وبين أهل زاوية الدلاني ما نذكره بعد إن شاء الله.

ومما ذكره منويل من أخباره: «أنه كان محسناً لسائر رعيته وكان حاله على الضد من جور أخيه الوليد وعسفه»، قال: «وسرح الفرالية الذين كانوا في سجن مراكش وأعطاهم الكنيسة التي بالسجينة منها وخالفت عليه سلا وأعمالها» انتهى.

بقية أخبار أبي عبد الله العياشي بسلا والثغور وما يتبع ذلك

كان أمر أبي عبد الله العياشي بسلا وسائر بلاد المغرب على ما وصفناه قبل من جهاد العدو والتضييق عليه والمصايرة له والإبلاغ في نكايته فانتعش به الإسلام وازدهرت الأيام، ودخلت في طاعته القبائل والأمصار من تامسنا إلى تازا كما قلنا، لا سيما فاس وأعلامها فإنهم قد شايعوه وتبعوه على ما كان بصدره من الجهاد والرباط، وحصل لهم بصحبته وولايته أتم اغتباط، ولم يزل في نحر العدو إلى أن أمن سرب المسلمين وحق القول على الكافرين.

وفادة أعلام فاس وأشرافها على أبي عبد الله العياشي بسلا

هذه الوفادة قد ذكرها الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي في فاتحة شرحه الصغير على «المرشد المعين».

قال في «نشر المثاني»: «وسببها ما وقع من الحرب بين أهل فاس وبين الحياينة وشراقة على قنطرة وادي سبو، وقتل فيها من أهل فاس خمسة وأربعون رجلاً، فخرج شرفاء فاس وفقهازها إلى سلا مستغيثين بأبي عبد الله العياشي» قال: «وكان الذي أغري الحياينة بفاس هو أحمد بن زيدان التفوا عليه وقاموا بدعونه ووصلوا أيديهم بشراقة وفعلوا بفاس وأهلها الأفاعيل حتى اختطفوا في بعض الأيام نساءهم من الجنات وباعوهن في القبائل وفعلوا بهن ما لا يجوز» قال الشيخ ميارة: «قد منّ عليّ ذو العظمة والجلال، الكريم المتفضل المتعال، بزيارة الولي الصالح، العالم العامل السائح، قطب الزمان وكهف الأمان، المجاهد في سبيل رب العالمين، المرابط في الشعور مدة عمره لحياة المسلمين، ذي الكرامات الشهيرة العديدة، والفتوحات العظيمة الحميدة، من لا شبيه له في عصره وما قرب منه ولا نظير، ولا معين له على نصرة الإسلام ولا نصير إلا الله الذي تفضل به علينا، وأقره بمنته وجوده بين أظهرنا فهو كما قيل:

حشت يمينك يا زمان فكفر حلف الزمان ليأتين بمثله

البركة القدوة، المجاب الدعوة، أبي عبد الله سيدى محمد بن أحمد العياشي أبقى الله بركته، وعظم حرمته وبلغه من خير الدارين أمنيته، وأطال للMuslimين عمره وقواه، وجعل الجنة نزله ومواه، مع جماعة من أعيان الساده، من الشرفاء والفقهاء القادة، وذلك بواسط ذي الحجة الحرام متم سبعة وأربعين وألف عام، وهو رزقنا الله رضاه بثغر سلا، أمنها الله من كل مكرهه وبلا، فاجتمعت إذ ذاك بنجله السعيد الموفق الرشيد، العالم الهمام،

حججة الله في الإسلام، ذي العقل الراجح، والمهدى الواضح، «عهود من الآباء توارثها الأبناء» المتواضع الخاشع، صاحب القلم البارع، سيدى وسندي أبي محمد عبد الله سلمه الله من كل مكروره ووقاء، فحضرني حفظه الله على اختصار الشرح المذكور، يعني: «شرحه الكبير على المرشد المعين» بعد أن طالع جله وسر به كل السرور، وحث علي في تقديم ذلك على جميع الأمور، فلما قفلت من وجهتي شرعت في ذلك تاركاً للتسويف، طالباً من المولى سبحانه السلامة من الخطأ والتخيّف». انتهى المقصود منه.

قال في «نشر المثاني»: «إن أبي عبد الله العياشي قدم فاسداً ونظر في أمرها وغزا عرب الحجازية مراراً وأثخن فيهم حتى خضعوا للطاعة».

إيقاع أبي عبد الله العياشي بنصارى الجديدة

سبب هذه الغزوة كما ذكره الفقيه العلامة قاضي تامسنا أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الغنامي الشاوي المعروف بسيدي رحو الغنامي أن نصارى الجديدة عقدوا المهادنة مع أهل آ Zimmerman مدة، فكان من عزة النصارى وذلة المسلمين في تلك المدة ما تفطر منه الأكباد وتخر له الأطواب، فمن ذلك: أن زوجة قبطانهم خرجت ذات يوم في محفظتها ومعها صواحباتها إلى أن وصلت حلة العرب فتلقاها أهل الحلة بالزغاريد والفرح، وصنعوا لها من الأطعمة وحملوا لها من هدايا الدجاج والحليب والبيض شيئاً كثيراً فظلت عندهم في فرح عظيم، ولما كان الليل رجعت، ووقع لها أيضاً: أنها أمرت القبطان زوجها أن يخرج بجيشه ويعث إلى قائد آ Zimmerman أن يخرج بجيشه المسلمين فيلعبوا فيما بينهم وهي تنظر إليهم بقصد الفرحة والتزهّة فكان كذلك، فجعلوا يلعبون وهي تتبرج فيهم فما كان بأسرع من أن حمل نصراني على مسلم فقتله، فكلم قائد المسلمين القبطان وأخبره بما وقع، فقال له القبطان: «فاما يضركم إن مات شهيداً» يهزأاً بالمسلمين ويسخر منهم، قال:

«وكان الولي الصالح العابد، الناسك الزاهد المجاهد، رافع لواء الإسلام، ومحبي منهج النبي عليه الصلاة والسلام»، سيدى محمد العياشي كلما سمع شيئاً من ذلك تغير ويات لا يلتذ بطعم ولا منام، وهو يفكر كيف تكون الحيلة في زوال الميرة عن المسلمين بتلك الجهة وغسل أعراضهم من وسخ الإهانة، وهو مع ذلك يخاف من العيون الذين يرصدونه من صاحب مراکش وقائد آزمور. ومن قبطان الجديدة، إذ كان ما خلف وادي أم الربيع إلى مراکش باقياً في دعوة السلطان لم يدخل في دعوة أبي عبد الله المذكور، فمكث كذلك ثلث سنين، ولما رأى أن الأمر لا يزيد إلا شدة أوعز إلى بعض أولاد ذؤيب من أولاد أبي عزيز أن يجلبوا إلى النصارى شيئاً من القمع خفية وأن يكون ذلك شيئاً فشيئاً حتى تطمئن نفوسهم ويدوقوا حلاوته ويروهم النصح والمحبة، فلما حصل ذلك جاءه جماعة منهم وأخبروه الخبر وأطلعوا على غرة النصارى خذلهم الله، فعزم على قصد الجديدة ثم بدا له في تقديم غزو العرائش، ثم يأتي الجديدة بغتة، ففعل رحمة الله، وكان ذلك أوائل صفر سنة تسع وأربعين ألف.

ثم عزم على قصد الجديدة فذكروا له أن وادي أم الربيع في نهاية المد والامتلاء فلم ينته عن ذلك وسار حتى بلغ الوادي المذكور على مشروع أبي الأعوان فوجده ممتلئاً جداً لا يكاد يدخله أحد إلا غرق، فقال لأصحابه وسائل من معه: «توكلوا على الله واجتهدوا في الدعاء» ثم اقتحم الوادي بفرسه وتبعه الناس، فعبروا جميعاً ولم يتاذ منهم أحد، وكان الماء يصل إلى قريب من ركب خيلهم، مع أن مد ذلك الوادي حين امتلأه لا يدرك له قعر عند الناس كما هو شهير، وهذه كرامة عظيمة وقعت له رضي الله عنه، وكان القاضي أبو زيد الغنامي حاضراً لها وشاهداها، ولم يقع مثل هذا فيما علمناه إلا للصحابية رضي الله عنهم، مثل ما وقع لسعد بن أبي وقاص في عبوره دجلة لفتح المدائن، ومثل ما وقع للعلا بن الحضرمي في فتح بعض بلاد فارس، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء.

ولما وصل أبو عبد الله إلى الجديدة وجد طائفة من أولاد أبي عزيز قد نذروا به ولجأوا إلى القبطان خوفاً منه أن يوقع بهم لأجل مهادنتهم للكفار واتصالهم بهم فخرج القبطان في خيله، وكان سيد محمد كامناً بإزار الجديدة بالغابة التي كانت هناك وقد زالت اليوم، فلما انفصل القبطان بجيشه عن الجديدة حمل عليهم أبو عبد الله فقطعهم عنها، ففرروا إلى جهة البحر فأوقع بهم فهلكوا ولم ينج منهم إلا سبعة وعشرون رجلاً، فتغير صاحب مراكش من ذلك وأنكر ما صنع أبو عبد الله وكذا أنكره قاضيه الفقيه أبو مهدي السكتاني.

وقد ذكر لويس ماري خبر هذه الواقعة فقال: «إن طائفة من المسلمين قدموا على قائد البرتغال بالجديدة وقالوا له: «إانا قد جنناك من عند المولى محمد بن الشريف يطلب منك أن تعينه بجماعة من عسكرك على بعض عدوه» فأسعفهم بذلك، وكان شاباً غرّاً لم يجرِ الأمور، فنهاه بعض كبار عسكره وحذره عاقبة الغدر، فأبى وعزم على الخروج مع أولئك المسلمين، وتقادعه عنه عسكره، فقال لهم: «إني أخرج وحدي» وذهب ليخرج وحده فتبعوه حيثند، وكانوا مائة وأربعين فارساً، فلما انفصلوا عن الجديدة بمسافة وجدوا خيلاً كثيرة كامنة لهم، فلم يشعروا حتى أحاطت بهم نصف دائرة منهم فما كلاموهم حتى كملت الدائرة عليهم وصاروا مركزاً، فحيثند التفت قائد العسكر إلى ذلك الرجل الذي نهاد عن الخروج وقال له: «ما الحيلة؟» فأجابه بأن الحيلة: «القتال حتى نموت» ثم أنسد له شعرأ مضمنه: إني أشرت عليك، وأنت أعظم جاهماً مني، فلم تسمع، والآن نقتل معاً وتحتلط دمائنا حتى لا يتميزان ولا يعرف دم الشريف من الوضيع. والحاصل أن المسلمين أوقعوا بهم حتى لم يرجع منهم إلى الجديدة إلا ثلاثة، وأسر منهم خمسة عشر أحياء، والباقي أتى عليه القتل، وقامت بالجديدة مناحة عظيمة لم يتقدم مثلها، وسجن الأسارى بسلا سنتين في بعض دهاليزها حتى افتداهم سلطانهم خوان الذي جمع مملكتهم من يد الإسبانيول» انتهى.

ولما قدم سيدى محمد العياشى من هذه الغزوة سار إلى فاس للنظر في أمرها لما هاج من الحرب بين أهلها، وذلك أن رجلاً منهم يقال له ابن الزين عدا على رجل آخر يقال له: أحمد عميرة فرماه برصاصة من علية مسجد فوق سوية ابن صافى فقتله، وهاجت الحرب بفاس بين أهل عدوة الأندلس، وكان المقتول رئيسهم، وبين الل茅طيين، فقدم سيدى محمد العياشى فاساً في آخر جمادى سنة خمسين وألف فأصلح بينهم، وأقاد من قاتل عميرة كبير الأندلسين. وبالجملة فغزوات سيدى محمد العياشى رحمة الله كثيرة، وذبه عن الإسلام وحمايته للدين مما هو شهير عند الخاص والعام.

وفي هذه الغزوة يقول الكاتب الأديب أبو عبد الله محمد بن أحمد الكلانى مادحاً لسيدى محمد العياشى ومشيراً إلى الكرامة التي وقعت له في عبور النهر:

وينقله في صحفه الشرق والغرب تناول به الزلفى من الله والقرب نجوم الدياجي في الأنام لها سرب تجلى بكم عن أفقه الشك والريب تجود لمستجد أنامله السحب أجاج لعمري في المذاق وذا عذب	حديث العلا عنكم يسير به الركب وحبكم فرض على كل مسلم فأنت رفيع من أصول رفيعة سمي رسول الله ناصر دينه ولم أر بحراً جاوز البحر قبلكم وما يستوي البحران عندي فإن ذا
---	--

وكان رحمة الله عازماً على أخذ العرائش فحال بيته وبينها انتقام من الأجل وكذلك كان ملحاً على أخذ طنجة فلم تساعداه الأقدار.

مُقْتَلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعِيَاشِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّبِيلُ فِيهِ

قدمنا أن أهل الأندلس بسلا تحزبوا على أبي عبد الله العياشي ورموه عن قوس واحدة وأنه كان قد اطلع على خبثهم ونصحهم للกفر وأهله، وأنه استفتى العلماء فيهم فأفتوه بإباحة قتال من هذه صفتة، فأطلق فيهم السبيل أيامًا فقتل من وجد منهم وهرب أكثرهم فهربت طائفة منهم إلى مراكش وهربت طائفة إلى الجزائر وأخرى إلى النصارى وفرقة إلى زاوية الدلاء، فجاء أهل الدلاء يشفعون في أهل الأندلس فلما أبو عبد الله أن يقبل فيهم الشفاعة وقال: «إن الرأي في استئصال شأفتهم» فلما رأى أهل الدلاء امتناعه ورد شفاعتهم غضبوا لذلك وأجمعوا على حربه، ومن قبل ما كانت القوارص تسرى منهم إليه يدل على ذلك الرسالة التي كتب بها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي يكر الدلائي إلى أبي عبد الله العياشي ونصها: «الحمد لله الحليم العفو الرؤوف، المترze عن صفات من وصف بها مؤف، وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم، المسورة بسور السماحة والحلم، وعلى ساداتنا آله وصحبه، وكل من انتظم في سلك أتباعهم من أهل حزبه، هذا، وإن المجلى بنور طلعته ظلم الظلم والفساد، المحلى خزانة المعالي بموجبات التفاق على حين الكсад المستوطن حبه بسويداء الفواد، من ألق إلية المكارم أزمة الانقياد وصلحت به بحمد الله العباد والبلاد، حوطة الإسلام وحمايته، وخديم الدين محمدي وكفایته، سيدى محمد بن أحمد العياشي المحمود الأوصاف، بشهادة من يعد من أهل الإنصاف، زاده الله من المكارم أعلاها، ومن نفائس درر المجد أغلاها، وتوجه بتاج الكرامة والرضى، وأمله بذاته منه السرمدي حتى يرضى، وسلم جنابه القدسى العلمي العملى المرابطى المجاهدى من جميع البلايا، وأنتحفه من تحفه الفاضلة الوهبية بأعلى المزايا، وأهدى إليه من طيب بركانه ورحماته، ما يرضاه دينه العلمى لرحماته، قد شهدنا على أنفسنا بالإقرار بفضله علينا، وأن ما يسره يسرنا وما

يضره يضرنا، علم ذلك منا يقيناً من له معنا أدنى مخالطة بحيث لا يمكنه أن يدفع ذلك بنوع من المغالطة، وإن الضار بالعين ضار ب insanها، لكن النّفوس الإنسانية محل لخطاها ونسانها، ومن أقمناه لديكم مقام الخادم والولد، قد ساءنا منه ما ساءكم مما عنه ورد، وطلبتنا من جميل أو صافكم معاملته بالصفح والجميل، فلن يزال الإنسان إلا من عصمه الله يستعمال أو يميل، ولو لا الحرارة ما عرف الظل، ولو لا الوابل لقليل النهاية في الطل، وما عرف العفو لو لا الإساءة، ولا يقال صبر المرء إلا فيما ساءه، وما عرفنا صاحبه إلا محبًا لجانب كل من للدين ينتمي، فإن خرج عن نظركم فقد أثار الغلط من لا يحتسب» انتهى.

وكان الشيخ ابن أبي بكر رحمة الله يطيل الثناء على أبي عبد الله العيashi ويذيع محاسنه وكان يقول في دعائه: «اللهم أجز عننا سيدي محمد العيashi أفضل المجازاة وكافه أحسن المكافأة واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب إليه منه، اللهم لا تحرمه توجهه إليك وانقطع عليه لخدمتك. اللهم نفس كربته وكمل رغبته، وأجب دعوته، وسدد رميته، واردد له الكثرة على من عداه في الحق إنك على كل شيء قادر» انتهى.

فهذا حال الشيخ ابن أبي بكر رحمة الله مع أبي عبد الله العيashi ثم قدر الله أن حدث بين أولاده وبين العيashi من النفرة ما أفضى إلى المقابلة وذلك بسبب رده شفاعتهم في أهل الأندلس وأمور آخر فأجمعوا على حربه كما قلنا، فخرج إليهم أبو عبد الله العيashi فأوقع بهم وهزم جموعهم، وفتكت بالعرب الذين كانوا مع التاغي فتفرقـت الجمـوع، وتبرأـت التـابـعـ من المتـبعـ.

ثم ذهب أبو عبد الله العيashi إلى طنجة بقصد الجهاد فلما قفل من غزوه وجد البرير من أهل الدلاء قد وصلوا إلى أطراف أزغار، ومعهم التاغي والدخسي وأهل حزبـهمـ منـ الكـدادـرـةـ وـغـيـرـهـ، وـعـزـمـواـ عـلـىـ مـصـادـمـةـ أبيـ عـبدـ اللهـ فـأـرـادـ أـنـ يـغـضـ الطـرـفـ عـنـهـ وـيـصـرـ عـنـهـ جـهـتـهـ فـلـمـ يـزـلـ أـصـحـابـهـ

به إلى أن برب لمقاتلتهم فلما التقى الجماعان كانت الدبرة على أبي عبد الله العيashi وقتله فرسه تحته، فرجع إلى بلاد الخلط، وكان رؤساء الخلط أكثرهم في حزب التاغي وعلى رأي الكدادرة، فرجعت البرير إلى أوطانهم، وبقي أبو عبد الله العيashi عند الخلط أيامًا، ثم غدروا به فقتلوه بموضع يسمى عين القصب واحتزوا رأسه، وحمله بعضهم إلى سلا، وكأنه حمله إلى أهل الأندلس إذ هم أعداؤه بها قال في «شرح المثاني»: ودفنت جثته بإزار روضة أبي الشتاء رضي الله عنه.

ومن كراماته المتواترة أنهم لما حملوا الرأس سمعوه ليلاً وهو يقرأ القرآن جهاراً حتى علمه جميع من حضر فردوه إلى مكانه وتاب بسببه جماعة من الناس، وأما القبة المنسوبة إليه بقبيلة أولاد أبي عزيز من بلاد دكالة فالظاهر أنها متخذة على بعض معاهده التي كان يأوي إليها أيام كونه بالقبيلة المذكورة، في ابتداء أمره كما مر، وليس هناك قبر له على الصحيح.

ولما قتل أبو عبد الله العيashi فرح النصارى بمقتله غاية الفرح وأعطوا البشرة على ذلك وعملوا المفرحات ثلاثة أيام، وكان مقتله رحمة الله تاسع عشر المحرم سنة إحدى وخمسين ألف وقد رمزوا للتاريخ وفاته بقولهم: «مات زرب الإسلام» بإسقاط ألف الوصل، وحدث رجل أنه كان بالإسكندرية فرأى النصارى يومئذ يفرحون ويخرجون أنفاسهم فسألهم فقالوا له: «قتل سانطو بالمغرب» وفي «الرحلة» لأبي سالم العيashi قال: «أخبرني الشيخ محمد الفزارى بمكة قال: كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر فى السنة التي قتل فيها الولي الصالح المجاهد سيدى محمد بن أحمد العيashi قال: فجاءنى ذات يوم وقال لي: «إنى رأيت فى النوم أختي ورأيت رجلاً جالساً مقطوع اليد تسيل دمًا» فقلت له: «من أنت؟» قال: «الإسلام» قطعت يدي بسلا» قال: فلما أخبرنى قلت له: الذي يظهر لي من روياك أن الرجل الصالح المجاهد الذى كان بسلا قد قتل» قال: «وبعد ذلك فى آخر السنة قدم حجاج المغرب فأخبرونا بموته».

· بقصائد كثيرة منها قصيدة الأديب البلوي أبي العباس
ها في النزهة، ويحكي أنه وجد مقيداً بخط أبي عبد
ن جملة ما قتله من الكفار في غزواته سبعة آلاف
ومما مدحه به العلامة الإمام الشهير أبو محمد عبد

أبلغ سلامي فخرنا العياشي	ي الرياشي
تحدو به الركبان والمواثي	سله غداً
فرد الورى	فرید وقتہ الإمام الخاشی
وقاصم	ظهر العدا کبیرهم والناثی
هن الشقا	صرعى على الأرض كما الكباشی
م حیاتکم	ما عاش فیکم سیدی العیاشی
الكل في	ظل الأمان لین الفراشی
عذلك دع	ولا تحذثني حديث الواشی
فتون وعن	جميع لوم لائمي عاشی
سram أبرزت	سلامها للسامعين فاشی

وتناء الناس عليه كثير فقد أثني عليه الشيخ ميارة كما مر، وأبو عبد الله
محمد العربي الفاسي، وابن أبي بكر الدلاوي وغيرهم.

وكان رحمة الله مجاب الدعوة ما دعا الله في شيء إلا استجيب له
شوهد ذلك منه مراراً ومن أدعيته المحفوظة عنه: «اللهم إني أسألك باسمك
السريع المجيب الذي خزنت فيه فواتح رحمتك وخواتم إرادتك وسرعة
إجابتكم يا سريع لمن قصده يا قريب من سأله يا مجيب من دعاه أسرع لي
بقضاء حاجتي وبلغ إرادتي يا سميع يا مجيب يا سريع يا قريب آمين آمين
آمين يا رب العالمين».

وكان فقيهاً مشاركاً في الفتون وله أتباع ظهرت عليهم برకاته ولا ح
عليهم سره، ومن أتباعه: الشيخ أبو الوفاء إسماعيل بن سعيد الدكالي

القاسمي صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ومن أتباعه أيضاً: المقدم المجاهد أبو العباس الخضر غيلان الجرفطي وقد ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي في رسالة كتب بها إلى المجاهد المذكور يقول فيها ما نصه: «من عبيد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له إلى الفارس القائم بنصر دين الله البائع نفسه في إعلاء كلمة الله الخضر غيلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فاني أحبك في الله وإن لسانني لهج باللتصرع إلى الله تعالى في نصرك على الكافرين منذ خرج النجليز والباعث على إعلامك بهذا أمران أحدهما: قوله عليه السلام: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلممه» والثاني: «استتهاض همتك للجد فيما أنت بصدره من الجهاد وعدم الالتفات إلى ما تورط فيه غيرك من الاغترار بالفاني، فأنت ما دمت في هذا على طريق صالحة، وعباد الله الصالحون كلهم معك، ورحم الله صاحبك الذي أسس لك هذه الطريق الصالحة، ورباك عليها أعني أمير المؤمنين نور البلاد المغربية سيدى محمد العياشي جزاء الله عنا وإياك عن المسلمين خيراً، فهو سيدنا وسيد غيرنا الذي ندين الله بمحبته ويجب علينا وعلى المسلمين تعظيمه وتعظيم من هو منه بسبيل» ثم قال الشيخ ابن ناصر رحمة الله بعد كلام ما نصه: «وتستوصي بأى سيدنا وسيد المسلمين في زمانه كافة خيراً سيدى محمد العياشي فهو عزك ويعظمهم قوام أمرك وهذا من نصيحتي إليك التي هي من نتيجة محبتنا لك فعاملهم بالوفاء، ولا تواخذهم بالجفاء» انتهى المقصود منه.

ولولد سيدى محمد العياشي وهو الفقيه العلامة سيدى عبد الله أرجوزة نظم فيها أهل بدر وتسل بهم إلى الله تعالى في هلاك الذين تمأزوا على قتل أبيه، فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ولم ينج منهم أحد.

وفي «البسستان»: «إن أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي دخل بلاد الغرب وذلك بعد مقتل أبي عبد الله العياشي فلقيه ولده سيدى عبد الله

المذكور بجموع الغرب بوادي الطين فوّقعت الحرب في قبائل وانتهت
حـلـلـهـمـ وـمـوـاـشـيـهـمـ اـنـتـهـىـ : وـكـانـ ذـلـكـ فـيـ أـوـاـئـلـ رـبـيعـ الـأـوـلـ سـنـةـ ثـلـاثـ
وـخـمـسـيـنـ وـأـلـفـ .

وليسدي عبد الله ابن سيدi محمد العياشي في بعض زياراته لأبيه

قوله :

أتينا إليك وأنفسنا	تكاد من الخوف منك تذوب
ولم ندر أين هواك الذي	تحب فتنحو إليه القلوب
أمننا فخفنا وحيتنا فخفنا	فمن خوفنا قد دعتنا خطوب
فها نحن من خوفنا منك حيري	وها نحن من خوفنا منك شيب

قال البفرني في «الصفوة»: وأخبرني حافظه العلامة قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد العياشي أن جده سيدi عبد الله المذكور كان قد أصابه مرض أعني الأطباء علاجه فلما طال عليه أمره رغب منهم أن يحملوه إلى ضريح الشيخ سيدi الحاج أحمد بن عاشر بسلا فلما وقف على الضريح أنسد ارتجالاً:

أقول لدائي إذ تفاصم أمره	وعز الدوا من كل من هو ناصري
إلا فانصرف بالله عنِّي إنتي	أنا اليوم جار للولي ابن عاشر

قال: «فـكـانـمـاـ نـشـطـ مـنـ عـقـالـ وـانـقـشـعـ عـنـ سـحـابـ ذـلـكـ الضـرـرـ فـيـ
الـحـالـ» وـكـانـتـ وـفـاةـ سـيـدـيـ عـبـدـ اللهـ المـذـكـورـ لـيـلـةـ عـرـفـةـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـسـبـعـيـنـ
وـأـلـفـ وـدـفـنـ بـجـوارـ الـوـلـيـ الـأـشـهـرـ الشـيـخـ أـبـيـ سـلـهـامـ مـنـ بـلـادـ الـغـرـبـ وـبـنـيـتـ
عـلـيـهـ قـبـةـ صـغـيرـةـ،ـ وـأـخـبـارـ الـعـيـاشـيـنـ وـمـحـاسـنـهـمـ كـثـيرـةـ وـبـيـتـهـ بـيـتـ خـيـرـ وـصـلـاحـ
رـحـمـهـمـ اللهـ وـنـفـعـنـاـ بـهـمـ آـمـيـنـ .

ظهور أهل زاوية الدلاء وأوليائهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك

أما نسبتهم فهم من برابرة مجاط بطن من صنهاجة حسبما ذكره ابن خلدون وغيره، وكان مبدأ أمر أهل زاوية الدلاء أن جدهم الولي الأشهر سيدى أبي بكر بن محمد وهو المعروف بحمى بن سعيد بن أحمد بن عمر بن يسري المجاطي كان من أخذ عن الشيخ الصالح أبي عمرو القسطلي دفين مراكش وسكن الدلاء واتخذ هنالك زاوية، فجاء ولده الولي الأظهر أبو عبد الله محمد بن أبي بكر فكم من الفضائل ما بقي وأبدى من الأسرار ما حفظ فتناقل الركبان حديث هذه الزاوية وقصدها الناس من كل ناحية إلى أن كان من أولاد الرجلين ما نذكره.

وأخذ الشيخ محمد (فتحا) بن أبي بكر عن الشيخ أبي عبد الله محمد الشرقي فحصل له من الحظوة والوجاهة فوق ما كان لسائر من عاصره وكان أعلم الوقت كالحافظ أبي العباس المقرى، والحافظ أبي العباس بن يوسف الفاسي، والإمام أبي محمد بن عاشر، والفقيhe العلامة أبي عبد الله محمد ميارة وغيرهم يقصدون زيارته والتبرك به ويراجعونه في عويس المسائل العلمية، وكان رحمة الله عالماً حافظاً دراً متوسعاً في علمي التفسير والحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها وكانت وفاته سنة ست وأربعين ألف.

قال اليفرني: وحدثني غير واحد من أشياخنا أنه لما دنت وفاته جمع أولاده وعشيرته وقال لهم: **هَذِهِ اللَّهُ تَبَلِّغُوكُمْ بِتَهْكِيرِهِ فَمَنْ شَرِيكٌ وَمَنْ فَلَيْسَ** **بِمَنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْنِي فَلَيَهُدُّهُ إِلَيَّ إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ غَرْفَةً بِيَدِهِ**» [البقرة: 249] وأنا أقول لكم: «ولا من أغترف غرفة بيده» يشير بذلك إلى ما تجاوزوه من أمر الرياسة بعده وذلك من مكاشفاته رضي الله عنه. وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله: وأنا أقول، بأنه سوء أدب لمقابلة كلام الله بكلامه، وأجاب عنه

حافده، وهو الفقيه العلامة الشهير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المستاوي بن محمد بن أبي بكر، برسالة مستقلة.

ولما توفي خلف من الأولاد عدة فكان أكبّرهم: أبو عبد الله محمد الملقب بال الحاج لأنّه حج مع أبيه ووحده مراراً، ويقال: إنه خطب الناس يوم عرفة على ظهر الجبل لأمر اقتضاه الحال ولم يكن ذلك لأحد من أهل المغرب قبله. وفي أيامه تكامل أمر أهل الدلاء وشاع ذكرهم.

وكان للزاوية في أيام أبيه صيت عظيم وكان بها من معاطاة العلوم والدّعوب على درسها وإقرانها وقراءتها ليلاً ونهاراً ما تخرج به جماعة من صدور العلماء وأعianهم كالشيخ البوسي وأخوه، حتى كانت إليها الرحلة في المغرب لا يعودوها الطالب ولا يأمل سواها الراغب.

وتمهد الأمر بها لابن عبد الله محمد الحاج وأولاده وإخوانه ويني عنه إلى أن تملك مدينة فاس ومدينة مكناسة وأحوازهما وكافة القطر التادلي.

قال في «نشر المثاني»: «وفي سنة ست وأربعين وألف كان قيام محمد الحاج الدلائي على الشيخ ابن زيدان» قلت: ولعل المكتبة الآتية بيانها بعد إنما كانت في هذا التاريخ.

وقال في «البستان»: «وفي سنة خمسين وألف زحف محمد الحاج الدلائي بعساكر البربر إلى مكناسة فاستولى عليها ثم زاد إلى فاس فاعتربه أبو عبد الله العياشي بجموع أهل الغرب ووقعت الحرب بينهما فانهزم العياشي وسار محمد الحاج لحصار فاس فرجع العياشي وأعاد حرباً ثانية، فانهزم محمد الحاج وعاد إلى بلاده. وفي سنة إحدى وخمسين وألف بعد موته العياشي نزل محمد الحاج على فاس وحاصرها ستة أشهر وقطع عنها المواد وجمّع العرافق إلى أن لحقهم الجهد وارتفعت الأسعار فدخلوا تحت

حكمه^(١) ولما قام اجتمعت عليه برابرة ملوية وأذعنوا له واعصوصبوا عليه، وقد كانت بيته وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وقعة أبي عقبة فانهزم فيها السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك في سنة ثمان وأربعين وألف، ومن ثم قطع النظر عمّا وراء وادي العبيد.

ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين أهل زاوية الدلاء من المراسلات والمعاتبات

قال في «النزهة»: وفي أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان قويت شوكة أهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد الغرب، وضعف الشيخ عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم، وبعث إليهم قاضيه العلامة الفقيه أبي عبد الله محمداً المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشنآن والرجوع إلى اجتماع الكلمة، ويبحتج عليهم بأن أيام الولي الصالح سidi محمد بن أبي بكر كان قد بايع أخيه الوليد بن زيدان، والتزم طاعته وأنهم أولى الناس باقتداء طريقته واتباع منهاجه، فلما بلغهم القاضي المذكور وأدى الرسالة ونثر ما في العيبة وبين قصده اعتذروا إليه بمسائل وتعلموا بوجوهه.

قال «اليفريني»: وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان محمد الشيخ المذكور إليهم بعد رجوع القاضي من السفارة وهذا نص القدر المحاج إليه منها بعد الخطبة، ولتصرف عنان الغرض لمن عيناه لمسنون العتاب

(١) ذكر سidi عبد السلام القادر في كتابه المقصد الأحمد: أن محمدًا الحاج الدلائي حاصر المعمورة وحضر معه في حصارها سidi محمد بن عبد الله من الأندلسي وولده سidi أحمد ولم يذكر تاريخ الحصار المذكور ولعله وقع عام 1052 بعد استيلائه على فاس وينبغي تحقيق هذا التاريخ بالمعطان الأوروبي انظر المقصد ج ١ ص 84 وحكى القادر في النشر في حوادث سنة 1057 خروج الناس للجهاد بحلق المعمورة قال: ثم رجموا بعد أيام ومات كثير منهم بمرض أصابهم من ماء شربوه هنالك أهـ وكانت وفاة سidi محمد بن عبد الله من ثالث جمادى الثانية سنة 1062.

والمحفترض، من هم لدقائق المجاز ضابطون، وفي حقائق الجواز خابطون، أهل وطن الدلاء لمن هو لورود الشراب محتاج، السيد أبو القاسم بن إبراهيم والسيد أبو عمرو والسيد محمد الحاج، ومن نشر صحف الإنصاف منهم مطابق، كالسيد المنساوي والسيد عبد الخالق، ولا زائد إلا قصد إيقاظكم من الغفوة التي طال كطلوع الشمس من المغرب ليلها، وامتد كأرض المخشى فرسخها وميلها، هل هذا منكم استخفاف بحضورة الخلاف أو تعام وتصام مما يجب على الرعاعيا من لازم الوظائف؟ هذا من العار الماحي لصحف المناقب، ولا يلوى بمن توخاه إلا للمهيع الذي لا تحمد لمتجمعه العواقب، وخصوصاً مثلكم الذي شق عصا الشفاق، وشرع يمد أيدي الأطماع في استخلاص قبائل الآفاق، وكنتم لا تدرون لباس القصاصان ولا الشواشي، إلى أن جسركم على وطء الغرب فأخذكم معه المفتر محمد العياشي، فنبذتم موائد الضيوف، وتقلدتكم بلا حياء السيف، وأعانكم اضطراب القبائل مع وقوع الجوع، ومن مضى إلى أي قطر تعذر عليه الرجوع، إلى أن أمكنتم من أزمتها الرعاعيا وكل عنيد من رباط تازا إلى وادي العييد، فاستحلتكم سكر الجباريات من الأبريز والفضة إلى أن جمعتم منه ما لا ينحصر في عدد، بواسطة القرافي والمتصدر من غير أن تتفقهوا على إقامة جند، ولا انتفع به إلا أشياع المؤسسات وشياطين الفساد والشر ولم تراقبوا مكر من رفعكم من غمار عموم البرابير، وأقعدكم في القباب على الأسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر، عوitem علينا عشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة، لتكون عزيمة نهوضنا إليكم معطلة صعبة، وأن لا ندرى أين تميل التفوس، ألتلك الصحاري أم إلى إيلينغ السوس، وهذا المغرب لا يخلو ملآن من نوايس كل كاهن ومدع قرقار، تمسى فيه البومة خاملة وتصبج بالمخلب والمنقار، ومعادين الهمز واللمز والمجون، هم أهل الزوابيا والديبارات والفنادق والأسوق والسجون، لكن من صفتة يميته لا يبكي، ومن ألقى

بإدراككم بأهميتها لا يشكى، وأهملناكم وأهملناكم لعواندكم من العبادة والطعام، فطلعتم لنا في الحلق عظاماً ورعام، لم تعلم الفقراء إلا بحرمة جاه الدخيل، على صلح أو زواج أو لسماح البخيل، وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى، من وجدة إلى حدود السوس الأقصى، فنذهب لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها، بشرط أن تفيقوا من سنة الغفلة وجهلها، وإن أمسكتم أقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد وقبول سوله، فأذنوا بحرب من الله ورسوله، فقد شيعنا لكم فقيهنا وقاضينا أبي عبد الله محمد المزواري. فصدقتموه أرحب صد، وانقلب من المحاوره مردوأً أقبح رد، لو لم نبال بكم بالفکر والذكر، ما صرفاً فيما سلف وصيفنا الأمين مبارك السوسي، فشيد ضريح السيد محمد بن أبي بكر، فدنتم خالص عرضه فإنه كان لكم علينا بريداً وبصيرة، بما انطوت عليه منكم غرة السريرة، فقص علينا، دون أن نفحصه. إن عين الجحش فراره، ولا يسعنا أن ندعكم مع أشراف سجلماسة وبني موسى تلعبون بنا كهر الغالية في القفص، لا يعطي غناء غلتة إلا بوخذ المسال التي تكلفه الرقص، وحاصل الغرض تأدية البيعة كما عقدها أبوكم الأبر الجواد المرحوم الفاضل المجيد لأخينا الأرضي مولاي الولي، لتنتظم كلمة الإسلام في الأقطار، إذ لو فعلتم لاقتني أثركم جموع المنتجعين والأمسار، وإن عظمت عليكم مفارقة تقبيل الرأس واليد والركبة فانتظروا صبيحة طلوع الفجر على غسق الليل، بخضرم خضرم من الرماة والخيل، ونؤم بعدكم دولة الأشraf الصحراوية وتلوى على زاوية الساحل إلى أن تعود الإيالة الشيشية علوية عالية، بالصيت والذكر، أو تهوي إلى حضيضبني سعد بن بكر» انتهى.

وكان جواب أهل زاوية الدلاء عن هذه الرسالة ما حاصله باختصار: ولا زائد بعد حمد الله إلا أن مسطوركم الأحرش لما ورد ساحتنا سلب الأذهان والعقول فلا جارحة إلا ولها حصة من الطين، فكادت العباري

تسقط المثابيم فضلاً عن الجنين، فباليه من صوت زجر لا ينسى علينا طول السنين أسمعتنا غرائب لم تمر مراتتها على أهل الدهر الآتي والغابر، لو صدح بها على جبانة لنهض أهل المقابر، حتى سمعتنا بالخسف في أسواق المذلة والهوان، وما نحن الأعز وركن لكل من طرقته وصمة أو عمه وأنت تعمل بتدبير وإشارة الأعلام المجبولين على طبائع الخداع والغش، وتبني على قواعد ما لكم بها من عرين ولا عش، و من الدليل الشاهد والبرهان، فلا فتكهم بأخيك مع مشاورة النسوان، على غيب من الجندي والديوان، فلا تدعهم يخدعونك وهم سلبوا روح جدك السمي من غمد الجسد، وحملوا هامته في مخلة من مسد، وايم الله لشن داموا لك في الغرب بطانة لطلقروا عليك ثلاثة أوطانه. وأما نحن فبيعة والدنا رحمة الله لم تزل لنا في الأعناق، ولا ينبغي أن تعاد فتكرر، كالظهير لمن تحرر، وأيضاً منعنا من تجديدها انسال البرير عن ساحتنا، فتكون أقوى سبب لفضيحتنا وأجلها هذا الأجدل الذي لا تؤده سموم الليالي ولا حرارة قيط المصيف، مولانا محمد بن مولانا الشريف، عقاب أشهب على قنة كل عقبة لم يقنعه عدد المال دون حسم الرقبة، وربما غرتنا غفلة فيشن الغارة على شعوب شعاب ملوية، أو ينشر جيوشه على رباط تازا بالربايات والألوية، سيماء وجناحاه ذرو النقوس النفيسة، بربور صنهاجة وعرب دخيبة، بزاة التزوات، بالحلة والمحال والغزوارات، والعيashi كما تعلمون كانت همة هجرته أولاً لملة أهل الشرك، ثم مد خطأ العزم إلى درجة الملك. وأما وصيفكم الأمين مبارك السوسي فحيث أanax علينا ككل الإقامة لاختطاط ضريح الوالدين رحهما الله قمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن، حيث اختبر بعين الحقيقة أرجاء أغوار المواطن، ولا شك أن حال مطالعته هي التي أرخصت لنا في سوق خواطركم الأسعار، إلى أن نصبتم لنا بعد الرضا حبائل الأذعار الجالبة للعار، وجد قبائلنا متبددة على ضم حبوب الصيف، وأعيانهم مفتدين على الخيول بدون رمح ولا مدفع ولا سيف، فحالهم على غرة غنيةمة باردة، وما علم أنهم أغوال الغيل صادرة وواردة، فإن كانت معايته

هي التي أطمعتكم أن يعودوا بعد العز نوابـ فـما درـىـ أنـ منهـ كانـ الخاويـ الخـاـبـ،ـ منـ رـكـبـ الـخـيـلـ لـنـفـسـهـ دـوـنـ رـاتـبـ المـخـزـنـ،ـ لاـ تـرـضـىـ هـمـهـ أـنـ يـهـاـنـ فـيـ حـيـزـنـ،ـ وـقـاضـيـكـ السـيـدـ مـحـمـدـ مـزـوارـ حـيـثـ عـاـيـنـ وـفـوـدـ الـأـفـالـيمـ مـنـشـرـةـ كـالـجـرـاءـ عـلـىـ الـأـزـقـةـ وـالـأـدـرـابـ دـوـنـ لـازـمـ خـدـعـةـ الـأـبـوـابـ،ـ تـحـقـقـ عـيـانـاـ أـنـ اـنـظـامـ شـمـلـ الـمـالـكـ وـالـمـمـلـوكـ لـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ عـلـىـ عـظـمـاءـ الـمـلـوـكـ،ـ فـقـصـنـ عـلـيـكـمـ وـعـلـىـ مـنـ حـضـرـ مـاـ اـعـتـقـدـ وـسـمـعـ وـنـظـرـ،ـ وـحتـىـ الـآنـ إـنـ قـصـدـتـ الـغـرـبـ أـوـ حـصـنـ فـاسـ لـاـ تـنـالـكـمـ مـنـ جـانـبـنـ مـسـاءـ وـلـاـ بـأـسـ،ـ فـبـعـدـ أـنـ يـكـوـنـ لـكـمـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ الـبـيـضـاءـ الـجـدـيـلـةـ وـالـقـدـيـمـةـ قـرـارـ،ـ يـكـوـنـ لـنـاـ بـعـدـ ذـلـكـ حـكـمـ الـاـخـيـارـ،ـ بـيـنـ أـنـ نـوـمـنـ لـكـ أـوـ تـرـكـ لـكـ الـبـيـارـ،ـ أـوـ نـسـتـرـخـ بـمـنـ هوـ مـثـلـ حـكـمـ شـرـيفـ حـةـ تـيـ وـسـلـطـانـ،ـ لـهـ شـغـفـ أـكـثـرـ مـنـكـ فيـ ضـبـطـ الـأـوـطـانـ،ـ فـنـقـاـبـ إـذـ ذـلـكـ الـقـصـورـ بـالـسـاطـ،ـ وـنـقـيـ بـطـانـةـ مـنـ شـاطـ لـأـسـانـ الـأـمـشـاطـ،ـ أـيـهـاـ لـلـغـرـبـ غـلـبـ،ـ نـؤـديـ لـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـاـ طـلـبـ،ـ وـإـنـ قـنـعـتـ بـحـوزـ الـحـمـرـاءـ مـنـ مـرـاكـشـ،ـ وـرـفـضـتـ عـنـكـ مـعـانـةـ الـهـرـاشـ وـالـتـاـوـشـ،ـ فـدـعـنـاـ وـمـرـاعـةـ مـنـ تـجـارـتـهـ الـرـئـاسـةـ،ـ وـهـمـهـ اـشـتـرـاءـ نـقـيسـ الـسـيـاسـةـ ضـرـغـامـ غـابـ سـجـلـمـاسـةـ.ـ وـأـمـاـ صـاحـبـ يـلـيـخـ السـوـسـ فـمـاـ مـرـادـ ذـوـهـ إـلـاـ غـنـيـةـ سـلـامـ الـأـعـراـضـ وـتـجـارـةـ سـلـبـ التـفـوـسـ.ـ وـفـيـماـ تـلـونـاهـ عـلـيـكـ مـنـ القـصـصـ كـفـاـيـةـ فـلـئـنـ غـادرـتـنـاـ مـسـتـرـينـ فـيـ حـرـمةـ الـاحـتـرـامـ وـالـوـقـارـ فـنـعـ،ـ وـإـنـ زـاحـمـتـاـ بـمـنـكـ الـهـوـانـ يـدـافـعـكـ عـنـاـ مـنـ اـدـعـيـ أـنـهـ زـعـمـ،ـ وـإـنـ طـرـقـنـاـ مـنـاخـ عـزـمـكـ عـلـىـ عـبـورـ وـادـيـ الـعـبـيدـ أـوـ أـمـ الـرـبـيعـ،ـ فـهـنـاكـ بـجـمـعـ اللـهـ بـيـنـ مـنـ يـشـتـرـىـ وـبـيـعـ وـالـسـلـامـ.ـ وـكـتـبـ عـنـ إـذـنـ جـمـهـورـ إـخـرـوـتـهـ عـبـدـ اللـهـ الـمـسـنـاوـيـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ الـدـلـائـيـ فـيـ يـوـمـ الـأـحـدـ الثـانـيـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ رـجـبـ اـنـتـهـيـ.

ولـمـأـ رـأـيـ السـلـطـانـ مـحـمـدـ الشـيـخـ بـنـ زـيـلانـ تـعـاصـيـ أـهـلـ زـاـوـيـةـ الـدـلـاءـ عـلـيـهـ وـاستـحـكـامـ أـمـرـ لـلـغـرـبـ لـهـ وـتـقـوـيـهـ بـالـعـدـ وـالـعـدـ صـرـفـ عـنـهـ مـنـ مـقـارـعـهـ وـمـالـ إـلـىـ مـسـلـمـهـ وـقـطـعـ النـظـرـ عـمـاـ فـيـ أـيـدـيـهـ وـالـأـمـرـ كـلـهـ اللـهـ.

ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ ابن زيدان وبين الأمير المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى

كانت المكاتب والمراسلات تقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي وبين الأمير المولى محمد بن الشريف السجلماسي، فمن ذلك رسالة بعث بها السلطان المذكور إلى الأمير المذكور فكان من فصولها أن قال له: «وبلغني أنك تعلن في التوادي من الحواضر والبادى: إن جرثومة انتمائنا لبني سعد بن بكر بن هوازن، مع أنها في بني نزار بن معد وافية المكاييل ثقيلة الموازن، وأننا من تيديسي أحد القصور ببادى درعة، ومنها أنبت الله أصلنا فازهر غصته وأثير فرعه، فلئن كان غرضك حط منطقة قدرنا من اللب فهذا من العلى عليك عار، وأن تحاول محونا من صحيفة النسب، فتلك دعوى لا تغلي أو ترخص أسواق الأسعار، وقد صرفنا إليك نسخة من «مناهج الصفاء في أخبار الشرفاء» ليطلع عليها أنظارك من الملوك فيزول ما بالخاطر من إشراك الشكوك».

فأجابه المولى محمد بن الشريف بأن قال له: «وعتابكم أننا عزوناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور، وناشرون لذلك في الحلل والمدن والقصور، تاله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهل ولا بأن نضيفكم لمن لا عشيرة له ولا أهل، بل اعتمدنا في ذلك بحمد الله على ما نقله الثقات المؤرخون لأخبار الناس، من علماء مراكش وتلمسان وفاس، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والتفكير، فما وجدكم إلا من بني سعد بن بكر، ولا معول على كتاب المنصور من الفشائلة، ولا ابن القاضي المكتاسي، ولا ابن عسكر الشريف الشفشاوني، وسواهم، إذ الكل أهل بساطكم، ومحل مزاحكم وانبساطكم، ولقد بلغتنا نسخة: «مناهل الصفا» فلم نجد فيها موزداً عذب وصفاً، وكفى دليلاً بالباطن والظاهر، قول الثقة مولانا عبد الله بن

طاهر، ومع هذا فلم نعتمد دفعكم عن شرف النسب، ولا رفعكم على ما وسمكم الله به من زينة الحسب» انتهى الغرض من هذه الرسالة. وأشار بقوله قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر إلى ما اتفق له مع المنصور حين جالسه على المائدة وقال له المنصور: «أين اجتمعنا؟» فقال له ابن طاهر: «على هذا الخوان» والحكاية قد مرت في صدر هذه الدولة السعدية.

ومما كتب به السلطان محمد الشيخ بن زيدان للأمير المذكور أيضاً وذلك حين غلب المولى محمد على فاس وملكتها، فكتب إليه السلطان المذكور يحذره من عائلة أهل الغرب وغدرهم برسالة من إنشاء وزيره القائد أبي عبد الله محمد بن يحيى آجانا وفي آخرها قصيدة من إنشاء القائد المذكور وهي:

يا شب مولانا الشريف محمدأ
ملايات مهابتك الكبيرة مغربأ
صغر الصياصي على الأعادي صالح
أنيابه البيض الحداد صوارم
فجناحك الجرد العتاق وإن نظر
هابتوك ثوار الأقاليم عنوة
قد طبت إن عرفت عروفك في الوعا
يا مالكا سعدت به أوطناته
نادي بك النصر العزيز لمغرب
فالحذر كما حذر الغراب ولا تكن
واعدل تفوز ولا تواخي طامعاً
لا تصد من جبل البرابر واصطبر
لا تأمن الأعراب في أقوالها
وعليك بالغارات في أوطناتها
واغضض ولا تردي تجار مداطن

شمس السعادة والهلال الأكمل
فزهت بمشرق أصبهان وموصل
طوراً يغير وفي الملاحجم سيتل
ويكل ظفر منه أبتر مفصل
ت إلى تلمسان يطيش الشمال
والوحش فهي يغض منها المنهل
خلت العناير ديف فيها المندل
فيما مضى وزها به المستقبل
ولكم على فاس الجديد الكلكل
كالبط يطفو عن مطاه القوقل
ترد العداة وتعتم عنك العزل
حتى يهون على الجوايس مدخل
وأقمع فضاضة من يجور ويختل
بكثائب تسببي الإناث وتقتل
يبقى عليك الستر دأباً يسبيل

أو حاكماً يصل الأمور ويفصل
في مربط فمتي استغرك يركل
فيقول أهل الغرب حتماً يرحل
تزاداد صيتاً في القلوب وتقبل
وقرؤم كل قبيلة لا تجهل
وإذا غرست عروق عدل تنقل
في آخر مسامن حاه الأول
يأباء نصر والمقادير تخذل
والله يحكم ما ي يريد ويعدل
فأجابه المولى محمد بن الشريف في سنة تسع وخمسين وألف بقصيدة
ختم بها جوابه من إنشاء الفقيه أبي عبد الله محمد بن سودة الفاسي ونصها:

أحمد الشيخ بن زيدان الرضا
فلقد أجبتك عما قد كاتبتنى
إني أبى لكم وصايا جمة
فمالى متى طول الرقاد أما ترى
والدهر ينتف في رياش جناحكم
ما من مليك ذاق لذة راحة
آخرى الذي كثرت شقا ثواره
تحتال تخدعه بكل حبالة
فاستيقظن من الخمار ومن رعنى
وانقض غبار الذل واخلع ثوبه
ضيغت ملوك في الرخا وتركته
وركنت للظلل الوريف وغادة
وإذا أردت دوام هيبة همة
دع عنك في الحمرا مروق سفرجل
واركب مطابا الصافرات إلى ال渥ا

يجبى إلى الحرب العوان الجحفل
وائل العنان وفي يمينك منصل
تردى العدو وكل ليل متزل
عقبانها وكذاك صقر اجدل
من بعض أمرك وازجرنه فيفعل
واصحاب شجاعاً للذخائر يبذل
فطباعها الغدر البليغ الأعجل
لا بد تغدر بالأخير وتختزل
وتود من وافي جنابك يجفل
فتتعود أيام السعد وتقبل
من ملكه حتى غذاء الحنظل
يصفى الزمان لكم ويصفو المنهل
واقرع طبولاً للرعاة وفي الوغا
وغض القفار وهز رمحاً وادرع
خاطر بنفسك في الفيافي جائلاً
واصطد نهارك بالسلاق وبعدها
وقد الجيوش كما الروحش ولا تدع
جنب آجانا الجبن في تدبیره
لا تجمعن من العلوج بطانة
أما الشبانة فاحذرن من غيها
ترجو عواقب دولة لنفسها
يعطف عليك الدهر بعد نفوره
ما ذاق زيدان أبوك حلاوة
فإذا امثلت صواب صدق وصيتي

واعلم أن هذه الرسائل والأشعار التي أثبتناها هنا نازلة كما ترى عن
درجة البلاغة، وعادمة لما تستحقه من فن الوزن ونقد الصناعة، ولكن لما
كان الكتاب كتاب تاريخ وأخبار، لا كتاب أدب وأشعار، لم نبال بذلك، إذ
كان المقصود منها ما تضمنته من بيان الأحوال، والإفصاح عنها على أصح
منوال، فإن هذه الرسائل هي عماد التاريخ وملاكه، ونازلة منه بالمحل الذي
نزلت من الدار أسلاكه، فلذا أثثنا منها في، هذا الكتاب. والله تعالى المعلم
للصواب.

وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمة الله

كانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمة الله سنة أربعين وستين وألف، وفي «نشر المثاني» أنه توفي قتيلاً سنة ثلاثة وثلاثين وستين ألف ودفن بقبور الأشراف من قصبة مراكش في روضة أبيه وعشيرته وما نقش على رخامة قبره قول القائل :

لبدر سنوات المعالي أقول
وفي ذا الضريح كان منه نزول
محمد الشيخ بن زيدان غاله حمام فحزن العالمين طويل
إمام الأنام ذو المآثر فعله لـه غرة في الصالحات جميل
حباه الله العرش رحمى تخصه بما هو في الفردوس منه كفيل
وزراوه: يحيى آجانا ولده محمد وغيرهما، وقضاته: أبو مهدي
عيسى بن عبد الرحمن السكتاني، وأبو عبد الله محمد المزوار رحم الله
الجميع.

الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان رحمة الله

لما توفي السلطان محمد الشيخ في التاريخ المتقدم بربع ابنه أبو العباس أحمد، وال العامة يقولون: مولاي العباس بدون لفظ الكنية، وقام مقام أبيه في جميع ما كان بيده إلا أن حي الشباتات، وهم أخواه، قويت شوكتهم في أيامه وغلظ أمرهم عليه، ووثبوا على الملك وراسوا الاستبداد به، فضايقوه وحاصروه بمراكش أشهرأ.

ولما رأت أمه أن الأمر لا يزيد إلا شدة كلمته في أن يذهب إلى أخواه ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه، فذهب إليهم فلما تمكنا منه قتلوه غيلة، وأقبلوا إلى مراكش مسرعين وبايعوا فيها لأميرهم عبد الكريم بن

أبي بكر الشباني ثم الحريري كما سألي.

وكان مقتل السلطان أبي العباس رحمة الله سنة تسع وستين وألف كذا في «النזהة». والذي في «نشر المثاني»: أنه قتل سنة خمس وستين وألف والله أعلم بغيته.

قال اليفري رحمة الله: وقد أذكرتني هذه الفعلة قول المولى محمد بن الشريف في قصيده السابقة:

أما الشبانة فاحذرن من غيها لا بد تغدر بالأخير وتخذل

فإن الأمر وقع كما قال، مع أن المولى محمد بن الشريف كتب بالقصيدة المذكورة للسلطان محمد الشيخ في سنة تسع وخمسين وألف، وغدر الشبانات للسلطان أبي العباس كان سنة تسع وستين ألف، ولعل المولى محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهل الكشف أو نحوهم، فإن كلامه كثيراً ما يقع فيه مثل هذا، وبمهلك السلطان أبي العباس رحمة الله انقرضت دولة السعديين من آل زيدان، وإنها جرفها وانطوى بساطها، وسبحان من لا يبيد ملكه ولا يزول سلطانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

الخبر عن دولة الشباتات بمراكنش وأعمالها وما أكَّل إليه أمرها من ثورها وأضمحلالها

لما قتل السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان في التاريخ المتقدم ثار كبير حي الشباتات بمراكنش من عرب معقل، وهو الرئيس عبد الكريم بن القائد أبي بكر الشباني ثم الحريري، وحريري فخذ منها هي النبعة والصميم فيها، وعبد الكريم هذا يعرف عند العامة بكروم الحاج، فدخل مراكنش، ودعا الناس إلى بيته فباعوه بها سنة تسع وستين ألف، وانتظمت له مملكة مراكنش ونواحيها، وسار في الناس سيرة حميدة، وكان

في أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وألف، وهو غلاء مفرط يبلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف، ولم يزل مستقيماً الرأي بمراكش إلى أن توفي بها سنة تسع وسبعين وألف قبل أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف باربعين يوماً.

وقال منويل: لما بايع أهل مراكش عبد الكريم الشباني خالفت عليه آسفي وأعمالها فغزاهم ثم رجع مفلولاً إلى مراكش، وكانت المجاعة المشهورة عقب ذلك، ثم قتله بعض أجناده دخل عليه فطعنه برمي فأتلفه، ثم قبض على القاتل وقتل أيضاً في الحين، ولما توفي بايع الناس ولده أباً بكر ابن عبد الكريم فبقي إلى أن قدم المولى الرشيد وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم، ثم تتبع الشبات فأفناهم قتلاً وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار، وانقرضت دولة الشبات والبقاء لله وحده.

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الأحداث فنقول:

في سنة ثلاثة عشرة وألف في ثاني عشر محرم منها توفي الولي الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدي السلاسي المعروف بابن حسون نسبة إلى جده الحسن المذكور، وهذا الشيخ هو دفين سلا الشهير بها أصله من سلاس مدشر على مرحلة من فاس، ثم انتقل إلى سلا، وسبب انتقاله إليها: أنه كان بين أهل سلاس حروب ومقاتلات فكان الشيخ أبو محمد عبد الله إذا غلب أهل مدشره فرح وإذا انهزوا حزن ففك في نفسه وقال: «محبة الغلبة تستدعي محبة الشر لل المسلمين وعلى عهد الله لا جلست في موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغى الشر لهم» فارتاح إلى سلا. ولما استقر بها أئمه جماعة من عشيرته يراودونه على الرجوع إلى بلادهم وحثوا عليه في ذلك فأخذ قدحاً وملاه من ماء البحر ووضعه ثم قال لهم: «ما بال ماء البحر يضرب بعضه ببعضه وتتلاطم أمواجه وما لهذا الماء الذي منه في القدر ساكن؟» فقالوا له: «لأنه لم يبق في البحر» فقال لهم: «الغرابة تصفي

وتسكن» فعلموا مراده وانصرفوا آيسين، قلت: وفي انتقاله من سلاس إلى سلا إشارة لطيفة وهي أن لفظ سلاس باعتبار تفكيرك سلا موصول بحرف السين وهو حرف ذو قرون ثلاثة مشعبة فيؤخذ منه بطريق الإشارة أنه سلا موصول بكدر، بخلاف لفظ سلا فإنه سلا محض، وقد قدمنا في أخبار ابن الخطيب رحمة الله أن مدينة سلا كانت مقصدًا للعبادة وأهل الخلوة والانفراد من لدن قديم، أخذ الشيخ ابن حسون عن أبي محمد البهطي عن أبي محمد الغزواني عن التابع عن الجزوئي رضي الله عنهم، وكان صاحب أحوال تهدى إليه الشياطين الرفيعة فيأمر بها فتلقي في بيته مسدود فتبقى فيه حتى يأكلها السوس وتتضيع، وكان كل يوم يصبح على بابه أبواب الآلات بالطبل والأبواق يضربون عليه التوبة وغير ذلك، وقد تلكم عليه الشيخ البوسي في المحاضرات وحمله محملًا جميلاً، وكرامات ابن حسون كثيرة شهيرة نفعنا الله به وبأمثاله.

وفي السنة المذكورة في ربيع الأول منها توفي الشيخ العارف بالله تعالى العالم الرياني أبي المحسن يوسف بن محمد الفاسي جد السادة الفاسيين، وأخباره ومناقبه شهيرة قد تكفل بيسطها كتاب «مرأة المحسن» لابنه العلامة أبي عبد الله محمد العربي الفاسي الموضوع لهذا القصد بالخصوص.

وفي سنة أربع عشرة وألف كان الغلام العظيم بفاس، قال صاحب «الممتع» في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن حكيم الأندلسي: «أنه اعتراه ذات يوم حال فجاء إلى بعض أفران فاس وجعل يقول لصاحب الفرن: «أغلق فرنك، أغلق فرنك» ويصبح به فإذا بالغلام العظيم حدث عقب ذلك، وهو غلام سنة أربع عشرة وألف فنعلن ذلك الفرن وغيره من أفران المدينة، وكان يمر بالطرقات فيقول: «الناس يأكلون عن أولادهم» ويكرر ذلك على جهة الإنكار فجاء الغلام المذكور فكان الناس يأكلون في الأسواق عن أولادهم ولم يكن يعهد الأكل بالأسواق قبل ذلك.

وفي سنة خمس عشرة وألف في ثاني جمادى منها جاء بفاس سيل عظيم حتى غمر دور عمل الفخارين وذهب بعض أنادر الزرع وحمل أمة من باب القتوح فمات.

وفي سنة اثنين وعشرين وألف حدث الشر بفاس ووقع الغلام حتى بع القمع بأوقيتين وربع للمد، وكثرت الموتى حتى أن صاحب المارستان أحصى من الموتى من عيد الأضحى من سنة اثنين وعشرين وألف إلى ربيع النبوى من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة، وخررت أطراف فاس وخلت المداشر، ولم يبق بلمطة سوى الورحش.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف وذلك عند فجر يوم السبت الثاني والعشرين من رجب منها حدثت زلزلة عظيمة بفاس، ذكر صاحب «الممتنع» في ترجمة أبي عبد الله بن حكيم المذكور آنفًا: أنه كان قبل الزلزلة المذكورة يصبح: المردومات المردومات، فإذا بالزلزلة حدثت، قال: فما بقيت دار من دور فاس غالباً إلا دخلتها الفؤوس.

وفي خامس شعبان من السنة المذكورة نزل برد عظيم قدر بيض الدجاج وأكبر وأصغر ورئي حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها وفر أهلها عنها وبقي لم يذب نحو ثلاثة أيام.

وفي سنة ست وثلاثين وألف توفي الإمام العارف بالله تعالى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي المعروف بالعارف بالله وهو أخو أبي المحاسن المذكور آنفًا ومناقبه شهيرة أيضًا.

وفي السنة المذكورة كان الغلام بفاس والمغرب.

وفي سنة أربعين وألف عشية يوم الخميس ثالث ذي الحجة منها توفي الشيخ الإمام العلام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبياً الأندلسي أصلاً الفاسي منشاً وداراً الفقيه المشهور كان رحمه الله له الباع الطويل في المشاركة في العلوم مع غاية التحرير والتحقيق وله التأليف الحسان التي أعني فيها عن الخبر العيان، وكان ورعاً سنياً وكان لا

يتخذ القراء على جنائز أقاربه ويقول: يمعني من ذلك أنهم يفسدون قراءة القرآن وقراءتهم تلك عنف في التخلف عن الجنائز».

وفي سنة اثنين وخمسين وألف توفي الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي كان رحمه الله متوفياً عالماً له عنابة كبيرة بتحصيل المسائل وتقييدها، والاطلاع على غربتها وشرعيتها، وهو صاحب «مرآة المحسن» وكان جواياً في بوادي المغرب وحواضره حتى أدته خاتمة المطاف إلى مدينة تطاوين فألقى بها عصا التسيار إلى أن توفي في السنة المذكورة ثم نقل إلى فاس بعد ستين فوجداً طرياً رحمة الله.

وفي سنة ستين وألف كان بالمغرب رخاء مفترط وبلغ صاع البر بمدينة سلا مثقالاً وكاد ينعدم بالكلية وهو غلاء لم يعهد مثله وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق رجالاً ونساء نسأل الله العافية.

وفي سنة سبعين وألف كان الغلاء المفترط بالمغرب لا سيما ببراكنش وهذه السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج لا زالوا يضربون العثل بغلتها إلى اليوم والله تعالى يحفظ المسلمين ويحلهم من كتفه في حصن حسين آمين.

تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع
وأوله:

الخبر عن دولة الأشراف السجلماسيين من آل علي الشريف وذكر نسبهم وأوليائهم.

فهرس الموضوعات

الخبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن أحمد رحمة الله تعالى	3
انحراف مراكش عن طاعة زيدان وبيعتهم لأبي فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة	4
نهوض السلطان زيدان لحرب أبي فارس واتهزامه بأم الرياح ثم فراره إلى تلمسان	5
نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبي فارس واستيلاؤه على مراكش	7
مجيء السلطان زيدان إلى المغرب واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها	8
عودة عبد الله بن الشيخ إلى مراكش واستيلاؤه عليها وطرده زيدان عنها	9
ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ واقترابه أمره وعودة زيدان إلى مراكش	10
خروج جالية الأندلس من غرناطة وأعمالها إلى بلاد المغرب وغيرها	11
استيلاء السلطان زيدان على قايس وقرار الشيخ بن المنصور عنها إلى العرائش ثم إلى طاغية الإصيبيو	12
عودة عبد الله بن الشيخ إلى قايس واستيلاؤه عليها ومقتل مصطفى باشا رحمه الله	16
تلخيص خبر أبي فارس ومقتله ورحمة الله تعالى	17
عودة السلطان زيدان إلى قايس واستيلاؤه عليها ثم إعراضه عنها سائر أيامه ..	18
استيلاء نصارى الإصيبيو على العرائش والسبب في ذلك	20
بقية أخبار الشيخ ومقتله رحمة الله وتجاوز عنه	22
رياسة ولی الله تعالى أبي عبد الله سیدی العیاشی علی الجہاد ومبداً أمره فی	

ذلك	24.....
ثورة الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بأبي محلبي ..	26.....
نهوض ابن أبي محلبي إلى سجلماسة ودرعة واستيلاؤه عليها ثم على مراكش بعدهما	30.....
استصراخ السلطان زيدان بأبي ذكرييا يحيى بن عبد المنعم الحاجي ومقتل أبي محلبي رحمة الله	32.....
بقية أخبار أبي ذكرييا يحيى بن عبد المنعم الحاجي وما دار بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله	35.....
استيلاء نصارى الإصينيون على المعمورة ونهوض أبي عبد الله العيashi لجهادهم	40.....
انعطاف إلى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين بها وما تخلل ذلك .	52.....
ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على أخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع في ذلك	57.....
وفاة عبد الله بن الشيخ	59.....
قبة الخصبة بجامع القرويين	59.....
ثورة أبي ذكرييا بن عبد المنعم بالسوسن ومخالبته لأبي حسن السملالي المعروف بأبي دميعة على تارودانت	60.....
بقية أخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمة الله	69.....
الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان رحمة الله	72.....
ظهور أبي عبد الله العيashi بسلا ومباعدة أكابر عصره له على الجهاد والقيام على الحق	73.....
بقية أخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته	77.....
الخبر عن دولة السلطان أبي يزيد الوليد بن زيدان رحمة الله	78.....
ظهور أبي حسن السملالي المعروف بأبي دميعة بالسوس ثم استيلاؤه على درعة وسجلماسة وأعمالهما	78.....
بقية أخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمة الله	82.....
الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان رحمة الله	83.....
بقية أخبار أبي عبد الله العيashi بسلا والغور وما يتبع ذلك	84.....

وفادة أعلام فاس وأشرافها على أبي عبد الله العيashi بسلا 85
إيقاع أبي عبد الله العيashi بن نصارى الجديدة 86
مقتل أبي عبد الله العيashi رحمة الله والسبب فيه 90
ظهور أهل زاوية الدلاء وأولياتهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك 96
ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين أهل زاوية الدلاء 98
ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الأمير المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى 103
وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمة الله 107
الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ ابن زيدان رحمة الله 107
الخبر عن دولة الشبانات بمراكش وأعمالها وما أكل إليه أمرها من دثورها واضمحلالها 108
وفاة الشيخ عبد الله بن حسون دفين سلا رحمة الله 109
وفاة الشيخ أبي المحاسن الفاسي رحمة الله 110
وفاة الشيخ أبي زيد الفاسي المعروف بالعارف رحمة الله 111
وفاة الشيخ عبد الواحد بن عاشر رحمة الله 111
وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد العربي الفاسي رحمة الله 112

فهرس الأعلام والقبائل

- أبو الحسن علي بن يوسف الأندلسي
- البيطار - 16.
- أبو حسون السعالي 10 - 49 - 78 - 79 .
- أبو الريبع سليمان بن محمد الشريفي
الزرهوني 53 - 54 - 55 - 58 .
- أبو زكريا يحيى بن عبد المنعم العاجي
29 - 32 - 39 - 60 - 61 - 66 - 71 -
. 79 - 78 .
- أبو زيد السكتاني 34 .
- أبو زيد عبد الرحمن الغنامي - رحو - 86
. 87 .
- أبو زيد عبد الرحمن الفاسي 14 - 58 -
. 111 .
- أبو سالم العياشي 92 .
- أبو سليمان 95 .
- أبو العباس أحمد بن إدريس العمراوي
. 21 .
- أبو العباس أحمد بن زيدان 107 - 108 .
- أبو العباس أحمد بن محمد الغردبي
التقليبي 23 .
- أبو العباس أحمد بن منصور العنج 4 .

حرف (ا)

- آدم 44 .
- آمغار 58 .
- آل زيدان 108 .
- إبراهيم بن يغزي 43 .
- إبراهيم كاتوت 69 - 70 .
- أبو إسحاق إبراهيم الصقلي 20 .
- أبو إسحاق إبراهيم الكلالي 74 .
- أبو بكر 3 .
- أبو بكر بن عبد الكريم 109 .
- أبو بكر بن محمد - حمي 96 .
- أبو الحسن علي بن حرزهم 56 .
- أبو الحسن علي بن الطيب 82 .
- أبو الحسن علي بن عبد الله السلمجامي
. 26 .
- أبو الحسن علي بن عمران السلاسي 3 -
. 14 .
- أبو الحسن علي بن محمد الإدريسي
- ابن ريسون - 57 .
- أبو الحسن علي بن محمد السعالي
. 60 .

- أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار ٣ - ٤ . ٦ - ٧ - ١٤.
- أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري ٢٧.
- أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي ٩٤.
- أبو عبد الله محمد بن يحيى أجانا ١٠٥ - ١٠٧.
- أبو عبد الله محمد الحاج الدلاني ٩٧ - ٩٩.
- أبو عبد الله محمد الجنان ٢٢.
- أبو عبد الله محمد الشرقي ٩٦.
- أبو عبد الله محمد الشیخ بن زیدان ٨٣.
- أبو عبد الله محمد العربي الفاسی ٧٤ - ٧٦ . ٩٣ - ١١٠ . ١١٢.
- أبو عبد الله محمد اللطفي - المربروع - ٥٨ - ٥٦ - ٥٤ - ٥٣.
- أبو عبد الله محمد المزواري المراكشي ٩٨ - ١٠٧ - ١٠٠.
- أبو عبد الله محمد المكلاوي ١٥.
- أبو عثمان سعيد الجزائري - قدورة ٣٠.
- أبو علي الحسن الزياتي ٢٢.
- أبو عمرو القسطلي ٣٣ - ٤١ - ٩٦ - ٩٩.
- أبو فارس بن منصور ٤ - ٥ - ٦ - ١٣ - ١٦ - ١٧.
- أبو القاسم بن إبراهيم ٩٩.
- أبو القاسم بن أبي النعيم ٣ - ٤ - ٦ - ٢٠ - ٥٨ - ١١١ - ١١٠ - ١٤.
- أبو الليف ٢٣.
- أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسی ١١١ - ١١٠ - ١٤.

- أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي ٢٢ - ٩٦.
- أبو العباس أحمد التواتي ٢٨.
- أبو العباس أحمد الحسني - أدقال - ٣٥.
- أبو العباس أحمد الدغوغی ٩٣.
- أبو العباس أحمد السملالي ٧٨.
- أبو العباس أحمد المقربي ٢٢.
- أبو العباس أحمد المريدي ٣٤.
- أبو العباس أحمد التقسيس ٢٢ - ٥٨ - ١٠.
- أبو العباس الأعرج ١٠.
- أبو العباس بن أبي محلی ٣٠.
- أبو العباس الخضر غيلان الجرفطي ٩٤.
- أبو العباس السبتي ٥ - ٣٣.
- أبو العباس السوداني ٢٨.
- أبو العباس الصومعي ٧١.
- أبو العباس المنجور ٢٨ - ٣٥.
- أبو عبد الله بن حکیم ١١١.
- أبو عبد الله بن سودة الفاسی ١٠٥.
- أبو عبد الله الرجراجي ٧٢.
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدلاني ٩٠ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ٩٩ - ٨٣ - ١٠٠.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي العياش ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٧٣ - ٨٩ - ٨٨ - ٨٦ - ٨٥ - ٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٩٢ - ٩٠ - ٩٩ - ٩٧ - ٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد المنساوي ٩٦.
- أبو عبد الله محمد المكلاوي ٨٩.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد مياره الفاسي ٨٥ - ٩٣ - ٩٦ - ٩٣ - ٩٦.

- أبو محلي أحمد بن عبد الله ٢٣ - ٢٦
 ابن حسون ١١٠ .
 ابن حسين ٤١ .
 ابن الخطيب ١١٠ .
 ابن خلدون ٩٦ .
 ابن شقراء ٤١ .
 ابن الرومي ٤٤ .
 ابن الزرين ٨٩ .
 ابن عبد الواسع ٤٩ .
 ابن عبد ٧٦ - ٧٧ .
 ابن عربي الحاتمي ٤٤ .
 ابن عسكر ١٠٣ .
 ابن عطية ٧١ .
 ابن القاضي المكتاسي ١٠٣ .
 ابن العجراد ٢٢ .
 ابن العتز ٤٤ .
 ابن اليسع ٢٦ .
 ابن يعقوب أوزال ٤٢ .
 ابن يعلى ٥٨ .
 الآبي ٤٢ .
 الأثراك ٤٥ .
 أحمد الأشهب ٥٨ - ٦٠ .
 أحمد بن زيدان ٧٢ - ٧٣ - ٧٥ .
 أحمد بن عميرة ٥٦ - ٨٩ .
 أحمد بن موسى الجزوئي ٤١ - ٨٠ .
 أحمد الشريفي ٤٧ .
 أحمد المنصور السعدي ٣ - ٤ - ٥ - ٧ - ١١ - ٢٧ - ٧١ - ٧٠ - ١٠٣ - ١٠٤ .
 الأدارسة ٢٦ .
 بذریس ١٩ .
 بذریس بن أحمد الجوطي العماني ٣٤ .
- أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن قاسم الفشتالي ١٧ .
 أبو محمد عبد الله بن أحمد الخالدي - ابن حسون ١٠٩ .
 أبو محمد عبد الله العياشي ٨٦ - ٩٥ .
 أبو محمد عبد الله الهبطي ٣٨ - ١١٠ .
 أبو محمد عبد الواحد بن عاشر ٧٤ - ٧٦ - ٩٦ - ٩٣ .
 أبو محمد العربي القاسي ٢٣ .
 أبو محمد الغزاوي ١١٥ .
 أبو مروان عبد الملك بن زيدان ٥٥ - ٥٩ - ٧٢ - ٧٧ .
 أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور السعدي ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ .
 أبو الوفاء إسماعيل الذكالي ٩٣ .
 أبو يزيد الوليد بن زيدان ٧٢ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٩٨ - ١٠٠ .
 أبو يعزى ٢٧ - ٧١ .
 ابن أبي الجوارد ٦٤ .
 ابن أبي محلی ٢٩ .
 ابن الأشعث ٣٩ - ٥٧ .

.85	الأروام .46
أهل الفحص .25	إسماعيل بن الشريف .69 - .82
أهل مراكش .4 - .5 - .6 - .7 - .9 - .10 - .49	الإصيبيول .18 - .20 - .50 - .70
.65 - .109	الإقليمي .23
أهل المغرب .6 - .11 - .41 - .76 - .97	الإنجليزيز .49
أولاد ابن عزيز .24 - .92	أندلس سلا .73
أولاد ابن اليسع .26	أهل آزمور .43 - .46 - .86
أولاد أبي عزيز .87	أهل الأندلس .11 - .51 - .58 - .59 - .60
أولاد أبي الليف .54	.75 - .76 - .90 - .92
أولاد ذؤب .87	أهل بدر .66 - .94
أولاد سجير .74	أهل بلاد الهبط .57
أولاد زيدان .78	أهل تارودانت .66
أولاد القاضي .26	أهل تلمسان .30 - .52
(ب) حرف (ب)	أهل الجزائر .75
بابا أبي فارس .49	أهل الحرة .39
الباشا جؤذر .4 - .5 - .72	أهل الحلق .75
الباشا محمود .73	أهل درعة .66
برابر مجاط .96	أهل الدلاء .90 - .97 - .98
برابرة ملوية .98	أهل زاوية الدلاء .84 - .96 - .100 - .102
البربر .34 - .49 - .73 - .76 - .78 - .92 - .97	أهل سلا .50 - .51 - .74
.99	أهل سلاس .109
.88 - .50 - .23 - البرتغال	أهل الطالعة .57
.32 - بنو جرار	أهل العدوة .18 - .58
.56 - بنو حسن	أهل عدوة الأندلس .58
.103 - .100 - بنو سعد بن يكر	أهل عدوة اللطميين .59
.26 - بنو العباس	أهل العدوين .58
.32 - بنو كنسوس	أهل الغرب .105
.76 - بنو مالك	أهل غرناطة .11
.100 - بنو موسى	أهل قاس .4 - .6 - .8 - .12 - .18 - .19 - .20
	- .53 - .54 - .55 - .56 - .57 - .59 - .75

حرف (د)

- الدبيرون .22
الدخسي .76
دكالة .51
الدولة السعودية .104 - 108
دوله الشبانات .109
الدولة الشرفية .45

حرف (ر)

- الرشيد بن الشريف السجلماسي .59 - 109
رضوان الجنوي .58
روضه أبي الشناء .92

حرف (ز)

- الزرهوني .41
الزعروري .51
الزمخشي .71
زيدان بن أبي محلبي .31

حرف (س)

- سالم السنهوري .28
سانطو .92
سحنون .43 - 54
سعد بن أبي وقاص .87
سعید بن جبیر .39
سعید الدکالی .69
سكنة .66
سفیان .38 - 50
السنوسی .51

حرف (ش)

- الشاذلي .58

حرف (ت)

- التاغي .92
التابع .110
الترك .70 - 47

حرف (ج)

- جوذر .78
الجزولي .110
جلال الدين السيوطي .60
جلول بن الحاج .59
الجوهر .5

حرف (ح)

- الحاج أحمد بن عاشر .95
الحاج علي سوسان .58
الحاج المير .30
الحجاج .62 - 39
الحسن البصري .39
الحسن بن علي .66
حمو بن عمر .17 - 56
أبو دبيرة حمو .21
الحناشة .43
الحنفية .42
الحياتنة .74 - 85

حرف (خ)

- الخرمي .33
الخضر .44
الخلط .76
خوان .88
الخيزران .22 - 6 - 5

- عبد الله بن طاهر 103 - 104.
 عبد الله بن المنصور - الزيدة - 30.
 عبد الله السعدي 41 - 44 - 48 - 70.
 عبد الله بن محمد المستاوي 102.
 عبد الملك بن مروان 39.
 عبد الملك الغازى السعدي 40 - 70.
 عبد مناف 68.
 عبد المؤمن بن سامي 48.
 عبد المؤمن بن علي 45.
 عبو وباهها 73.
 العبيديون 26.
 عثمان 39.
 عثمان داي 12.
 العثماني 70.
 العجم 46.
 عجيب 52 - 73 - 73 - 47 - 46 - 44 - 43 - 18.
 العرب 18 - 73 - 47 - 46 - 44 - 43 - 76.
 عرب إفريقية 43.
 عرب الحبانية 20 - 74.
 عرب السوسن 27.
 عرب الغرب 74.
 عرب معقل 108.
 العلاء بن الحضرمي 87.
 العلوج 77 - 83.
 العلويون 26.
 علي 39.
 علي بن سعيد 60.
 علي بن عبد الرحمن 58.
 عمر 66.

- الشافعية 42.
 الشاوية 69.
 الشابة 32.
 الشباتات 6 - 107 - 108 - 109.
 شرافة 18 - 52 - 55.
 الشيخ بن زيدان 82 - 83.
 الشيخ كدار 19.
حرف (ص)
 الصديق 39.
حرف (ع)
 العباس بن عبد المطلب 26.
 عبد الخالق 99.
 عبد الرحمن الخنادقي 56.
 عبد السلام بن مشيش 57.
 عبد الصادق 37 - 48.
 عبد الصادق بن ملوك 41.
 عبد الصمد 18.
 عبد العزيز بن سعيد الوزكيي 17 - 72.
 عبد العزيز بن محمد التغلبي 70 - 72.
 عبد العزيز القسطنطيني 41.
 عبد القادر 49.
 عبد الكريم بن أبي بكر الشباني - كروم الحاج 108 - 109.
 عبد الكريم بن الشيخ 41.
 عبد الكريم بن مؤمن العلوج 41.
 عبد الله أعراس 8.
 عبد الله بن الشيخ 8 - 9 - 10 - 12 - 13 - 16 - 18 - 19 - 54 - 53 - 52 - 56.
 .59 - 58

- محمد بن أبي عمرو .48
 محمد بن إبراهيم الشيشمي .41
 محمد بن الحسن بن أبي القاسم .38
 محمد بن سليمان اللطفي - الأقرع - .58
 محمد بن الشريف السجلمني ٨٨ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٨ .
 محمد بن الشيخ - زغودة - .٧٢ - ٥٧ - ٥٦
 محمد بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ .١٠
 محمد السنوسي .٢٥
 محمد الشرقي .٤١
 محمد الشيخ بن زيدان السعدي ٧٢ - ٩٧ - ٩٨ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٨ - ١٠٩ .
 محمد الشريف .٧٩
 محمد الفزارى .٩٢
 العرابط الأندلسي .٤١
 مسعود بن عبد الله .٥٨
 مسعود الشراط .٥٩
 مسفوية .١٧
 مصطفى باشا ٩ - ١١ - ١٣ - ١٦ - ١٧ .
 مصطفى صولجي .٤٧
 معاوية .٤٠ - ٦٨
 المقدم أبو الليف .٢٢
 المقدم النقسي .٢٣
 الملائكة .٣٤
 المتصر .٩٩
 منصور العكاري .٤٩
 متولى .١٠٩ - ٨٤ - ٨٢ - ٧٧ - ٢٣

- عيسي بن عبد الرحمن .٨١
حرف (ف)
 الفاتالة .١٠٣
 الفضيل بن عياض ٣٨ - ٥٠ .
 الفرنج .٥٠
 فليس الثالث .٥٠
حرف (ق)
 القبائل السوسية .٧٨
 القبطان مراد .٤٦
 القرافي .٩٩
حرف (ك)
 الكربني .٢١
 الكلادرة .٩٢
 الكلبم .٤٤
حرف (ل)
 اللمطيون ٥٥ - ٥٦ - ٥٩ - ٥٨ - ٦٠ .
 لويز البرتغالي .٣١ - ٦٩ .
 لويز مارية .٨٨
حرف (م)
 مالك ٣٨ - ٥٠ .
 المأمون بن المنصور - الشيخ - ٥ - ٦ - ١٢ - ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٤١ .
 مامي العلح .٥٨
 العاوري .٤٦
 مبارك السوسي ١٠٠ - ١٠١ .
 محمد باشا العلح .٧٨
 محمد بن أبي بكر الدلاني .٢٨

.41 ولد آصناك

حرف (ي)

- يحيى آجانا الوزكيبي 72 - 78 - .107
- يعين بن عبد الله بن سعيد الحاحي 33 - .36 - .35 - .34
- يزرور 58
- يزيد بن معاوية 39 - .40
- البيفرني 71 - .70 - .60 - .59 - .34 - .33 - .30
- اليوسى 108 - .98 - .96 - .95 - .76
- يونس الآيسى 110 - .97 - .31
- يونس اليوسى 43 - .42
- اليهود .81

.42 المواق

حرف (ن)

- الناصر بن الزبير 74
- النجيلز 94
- النصارى 51 - .50 - .45 - .27 - .21 - .11
- نصارى الجديدة 92 - .90 - .87 - .76 - .75 - .74 - .69
- نصارى الجديدة 70 - .25 - .24
- الهبطي 41
- مشتوكة 32
- الوطاسيون 50.

حرف (ه)

حرف (و)

فهرس الأماكن

البرج الجديد .56

بر العدوة .31

بلاد تلمسان .11

بلاد الخلط .92

بلاد دكالة .69 - 70 - 92 - 93

بلاد الريف .20

بلاد الغرب .12 - 72 - 94 - 95

بلاد فارس .87

بلاد الفحص .22

بلاد المغرب .84 - 11

بلاد الهبط .52

بوركراك .13

البيضاء .102

(ت)

تارودانت .61 - 68

تازا .73 - 84

تادلا .4 - 71

تافلفلت .9

تماسنا .19 - 84 - 73

تطاوين .12 - 19 - 22

تلمسان .53 - 52 - 37 - 11 - 8

.103

(أ)

آزمور .24 - 69 - 51 - 50 - 37 - 25

.87 -

آسفي .37 - 82

أرض المغرب .51

أدخسان .18 - 19

الإسكندرية .92

أمريقية .12 - 41

أكلميم .7

أم الريبع .19 - 102

.69

الأندلس .61 - 51 - 11

إليخ .79 - 81

(ب)

باب الجيزة .53

باب الخميس .84

باب السبع .56

باب السلسلة .18

باب الفتوح .16 - 54

باب المسافرين .53

باب المعلقة .75

دار القيطون .54	.41 - 12 - 11 - تونس
دجلة .87	.82 - بطي
درعة ٨ - ٣٥ - .٥١	(ث) حرف (ث)
حروف (ر)	ثغر آسي ٣١
رأس الماء .١٩	(ج) حرف (ج)
رأس العين .٤٩	جامع الفروين ١٤ - ٥٤ - ٥٥ - ٦٠ - .٧٨
الراشدية .٣٠	جبال الزيب .٥٦
الرباط .٨٤	الجبل الأخضر .٦٩
روضة أبي الشتاء .٩٢	جبل الحديد .٨٤
حروف (ز)	جبل جليز .١٠
زاوية الدلاء .٩٠	جبل درن .٣٢ - ٣٥
زاوية القاضي .٢٦	الجزائر ٨ - ١٢ - .٩٠
الزربطة .٥٨	جزيرة الأندلس .١٢
زرهون .٥٦	جزيرة العرب .٧٠
زادفة .٣٥	جزيرة قادس .٥٥
حروف (س)	الجديد .٨٨ - ٨٧ - ٦٩ - ٣١ - .٨٨
ساحل البحر المحيط .٨٢	جنان بكار .٨
ساحل الرمل .٧٥	(ح) حرف (ح)
- ١٠٠ - ٤٧ - ٣٠ - ٢٧ - ٢٦ - سجل ماسة ٨ - .١٠٢	حجر باديس .٢٠
- ٥٣ - ٥١ - ٥٠ - ٢٥ - ٢٤ - سلا ٩ - .٩٢	الحرم الشريف .٣٩
- ٩٢ - ٨٨ - ٨٦ - ٨٥ - ٨٤ - ٧٦ - ٧٥ - .١١٢ - سلاس ١١٠ - ١١٠ - ٩٥	حلق المعمورة .٧٤ - ٧٦
سلاس ١١٠ - .١١٠ - ١١٠ - .١١	الحمراء .١٠٢
السودان ٥ - .١١	حوّاتة .٥
السوس ٨ - ١٣ - ١٧ - ٤٨ - ٤٧ - ٣٥ - ٦٠ - .٧٩	الحيانية .٨٦
سوق العطارين ١٠٠	(خ) حرف (خ)
سوية ابن صافي .٨٩	الخندق .٧٥
	خولان .٥٤
	(د) حرف (د)
	دار ابن مشعل .١٦

<p>حرف (ق)</p> <p>قبور الأشراف .107 قصبة مراكش .107 القسطنطينية ١٢ - .٧٠ فشتالة .١١ القصر الكبير ١٣ - .٢٠ القرويين .٥٦ قلعة سلا .١٢ قطنطرة المهدومة .١٨</p> <p>حرف (ك)</p> <p>كاغو .٥ كريكرة .٢٧</p> <p>حرف (ل)</p> <p>لمطة .٥٥</p> <p>حرف (م)</p> <p>المدائن .٨٧ الدرمة العتانية .٥٨ العدينة المشرفة .٩٢</p> <p>مراكش ١٣ - .١٢ - .١٠ - .٩ - .٧ - .٦ - .٥ - .٤ - .٣٠ - .٢٥ - .١٩ - .١٨ - .١٧ - .١٦ - .١٤ - .٦٠ - .٤٨ - .٤٧ - .٣٧ - .٣٤ - .٣٢ - .٣١ - .٧٨ - .٧٧ - .٧٢ - .٧٠ - .٦٩ - .٦٥ - .٦١ - .١٠٣ - .١٠٢ - .٩٦ - .٨٨ - .٨٧ - .٨٤ - .٨٣ - .١١٢ - .١٠٩ - .١٠٨ - .١٠٧ مرسى الحلق .٥٥ مسجد الجرف .٥٥ مرس الرماء ٧ - .١٣ المسرة .٨٢ مسفيوة ٧ - .١٣</p>	<p>حرف (ش)</p> <p>الشام .١٢ ال شيئاومة .٨٤</p> <p>حرف (ص)</p> <p>صنهاجة .٩٦</p> <p>حرف (ط)</p> <p>طنجة ٢٣ - .٧٥ - .٨٩</p> <p>حرف (ع)</p> <p>العرائش - .٣٠ - .٢١ - .٢٠ - .١٩ - .١٨ - .١٣ - .١٢ - .٨٩ - .٨٧ - .٥٤ - .٥٠</p> <p>العراق .٣٩</p> <p>عين السبع .٧٥ عين القصب .٩٢</p> <p>حرف (غ)</p> <p>الغرب ٣ - .٤٨ - .٤٣ - .٢٧ - .١٩ - .٨ - .٩٤ - .٤٣ - .٢٧ - .١٩ - .٨ - .٧ - .٦ - .٥ - .٤ - .٣٤ - .٢٧ - .٢٦ - .٢٣ - .٢٢ - .٢١ - .٢٠ - .٧٢ - .٧٠ - .٥٩ - .٥٨ - .٥٧ - .٥٥ - .٣٥ - .١٠٩ - .١٠٣ - .٩٧ - .٨٩ - .٨٥ - .٨٤ - .٧٨ - .١١١ - .١١٠</p> <p>فاس الجديدة ١٤ - .٥٤ - .٥٦ - .٥٨ - .٧٣</p> <p>القصص .٢٥</p> <p>فم تانوت .٣٢</p>
---	--

